السبت 24 حزيران 2023
العدد 4947 السنة السابعة عشرة
Samedi 24 Juin 2023 no 4947 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

فاطمة المرنيسي
المشاكسة

الثنائي ثبّت ترشيح فرنجية... ولا جلسات قبل نهاية آب

لودريان «رايح جايي» كثيراً [2]

اطلب القوس مع الأخبار

سفيرة بريطانية قائد جيش!

[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

«فتوى» نصرالله تذلّل شغور قيادة الجيش

3

تقرير

جمعية المصارف **الودائع بخير!**

5

البلاد

«الحرب كرّ وكرّ» **كمين جنين الذي غيّر القواعد**

10

فلسطين: أثرٌ فقأ عين الصهيونية!

12

المشهد السياسي

الثنائي ثبّت ترشيح فرنجية... ولا جلسات قبل نهاية آب
لودريان «رايح جايي» كثيراً

المعطيات المتوافرة عن اليوم الثالث من الزيارة «الإستطلاعية» لجان إيف لودريان لا تزال نفسها الانطباعات التي خرجت بها القوى السياسية منذ اليوم الأول لوصوله، وهي اتّباع الموفد الرئاسي الفرنسي الخاص قاعدة «الصمت كثيراً والاستماع أكثر». إلا أن الخلاصة الأساسية التي أسفرت عن لقاءات لودريان أن الأمور «متشابكة ومعقّدة جداً»، وأن العوامل الداخلية والخارجية غير ملائمة لإنتاج حل داخلي للأزمة اللبنانية، لا على صعيد الرئاسة ولا غيرها.

وإذا كان الموفد الفرنسي لم يعلن تراجع بلاده عن المبادرة - التسوية التي طرحتها بانتخاب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية مقابل نواف سلام رئيساً للحكومة، إلا أنه كان، في الوقت نفسه، واقعياً لجهة الاعتراف بصعوبة تسويق المبادرة مع القوى المحلية والدول العربية والغربية، مشدداً على أن إنتاج الحل لا يُمكن إلا بالتوافق والحوار.

> أكّد الموفد الفرنسي أن السعودية لا تزال تقف في المربّع نفسه

وكشفت مصادر مطّلعة أن الموفد الفرنسي طلب من البطريرك بشارة الراعي أن يدعو إلى حوار، إلا أن الأخير لم يبد تجاوباً، فيما أبلغه رئيس مجلس النواب نبيه بري أنه يشجع على الحوار، لكنه لن يدعو إليه لأنه أصبح طرفاً بعد دعمه ترشيح فرنجية. وبحسب المصادر، فإن لودريان، لكثرة ما سمعه من تناقضات وخلافات واختلاف في وجهات النظر، وما لمسه من تشدد كل فريق في موقفه، أدرك «استحالة» المهمة الموكل بها، وأنه لا يُمكن لفرنسا «المخضوض» عليها من بعض القوى الداخلية، تحديداً المسيحية، أن تنجح في هذا الدور منفردة. وهو سيحمل معه إلى بلاده وإلى ممثلي دول اللقاء الخماسي «غلّة» لقاءاته، على أن يعود لاحقاً إلى بيروت بتصور جديد.

واستكمل الموفد الفرنسي أمس لقاءاته التي استهلّها باستقبال النائب ميشال معوض في قصر الصنوبر، قبل أن يعقد لقاء موسعاً مع كتلة «تجدد» التي تضم إلى معوض النائبين فؤاد مخزومي وأشرف ريفي، فيما اعتذر النائب أديب عبد المسيح بداعي السفر. واستقبل النواب سامي الجميل ونديم الجميل وسليم الصايغ، ثم عدداً من نواب «التغيير»، والنائب السابق وليد جنبلاط برفقة نجله تيمور جنبلاط، ثم النائب فيصل كرامي، فالنائب أحمد الخير.

وتقاطعت المعلومات عند التأكيد على عودة لودريان خلال أسابيع ينتهي خلالها من إعداد تقرير حول عناصر الأزمة وفقاً لما سمعه ممن التقاهم، وتصور كل منهم للحل، ووضع توصيات لإنتاج فكرة أو مبادرة. وتمنح هذه المدة رئيس مجلس النواب فرصة حتى نهاية آب المقبل لعدم الدعوة إلى جلسات جديدة لانتخاب رئيس، والفرنسيين فرصة البحث في دعوة ممثلين عن بعض القوى إلى اجتماعات في باريس، إضافة إلى إجراء جولة جديدة من المحادثات مع السعودية وبقية أطراف اللقاء الخماسي.

وعلمت «الأخبار» أن لودريان عرض في اللقاء مع حزب الله تقييماً أولياً، أورد فيه أن عنصراً جديداً طرأ ربطاً بنتائج جلسة 14 حزيران، لكنه لم يتحدث عن مبادرة جديدة. وقال لودريان: «لقد أبلغني الطرف الآخر أن الجلسة الماضية كانت ضد فرنجية، وأنهم مستعدون للبحث في خيار ثالث». وأوضح أن داعمي أزعور أبلغوه أن التصويت «أظهر أن غالبية تتجاوز الـ 75 نائباً صوّتت ضد فرنجية (أصوات جهاد أزعور وزياد بارود والأوراق البيض) وأن غالبية ساحقة من المسيحيين صوّتت ضده». وتحدث لودريان عن الحملات التي تتعرض لها بلاده، وأن الفريق الآخر يعتقد بأن فرنسا تلعب دوراً غير إيجابي، وتتخلى عن دورها التاريخي في لبنان. كما شدّد على أن السعودية لا تزال تقف في المربّع نفسه، وتريد أن تكون بعيدة عن المقايضات والتسويات، وهي ملتزمة بمبدأ الحياد ولا تريد الدخول في مشكلة مع أي طرف لبناني.

وقالت مصادر مطّلعة إن «لودريان سمع دعوات إلى صياغة مبادرة تنتج اتفاقاً جديداً على رئيس توافقي، يكون قادراً على قيادة عملية إصلاحية»، وأنه سمع من بعض القوى كلاماً عاماً يشير إلى أن هناك قوى في لبنان تخوض المعركة بخلفيات شخصية.

في المقابل، سمع لودريان من رئيس كتلة الوفاء للمقاومة محمد رعد شرحاً مفصّلاً ومطالعة دفاعية عن ترشيح فرنجية، وتأكيداً على استمرار دعمه وعدم التراجع عن ذلك، ودعوة للفرنسيين إلى مقاربة تأخذ في الاعتبار أن الهدف من التسوية ليس اختيار رئيس، بل إنتاج حل شامل يتجاوز موقع الرئاسة إلى القضايا الأخرى. ولفت رعد إلى «أن قراءة نتائج جلسة 14 حزيران ليست كما يعتقد خصوم فرنجية، وأن رصيد الأخير إلى ارتفاع بينما لم يصمد تقاطع الأخرين».

وردّ لودريان بأن المشوار طويل، وبأنه يعتقد أنه سيعود إلى لبنان على تثبيت آليات التنسيق القائمة وعلى العمل وفقها وتطويرها.

واستضاف الموفد الفرنسي على مائدة غداء ستة من نواب «التغيير» هم: حليمة القعقور وبولا يعقوبيان وإبراهيم منيمنة وميشال الدويهي ووضاح الصادق وياسين ياسين. ووفق مصادرهم، استهلّ الزائر الفرنسي اللقاء بالطلب إليهم التحدّث براحة تامّة أمام بعضهم، متفهّماً الخلافات القائمة في ما بينهم، فردّت يعقوبيان، نافيةً الاختلافات في التوجهات والمشاريع، وحرصت على تجميل الصورة بحصرها ضمن اختلاف في «التكتيك».

وفيما أكّد لودريان أن لا حلول بين يديه، وأي مخرج يجب أن يقوم على حوار اللبنانيين، توالى النواب على تقديم دفوعهم عن خيارات تصويتهم في الجلسة الأخيرة لانتخاب رئيس للجمهورية. الفريق الذي اقترعَ لأزعور مثّله الصادق والدويهي ويعقوبيان وياسين، واجمعوا في كلماتهم على أن السبب الأساس لتقاطعهم مع حزبي «القوات» و«الكتائب» هو خلق توازن في وجه حزب الله ومرشّحه، مؤكدين رفضهم لتسوية تأتي برئيس جمهورية محسوب على فريق 8 آذار، ورئيس حكومة يدور في فلك 14 آذار. وفي حين اعتبر الصادق والدويهي أنه «هيك ما بقى يمشي الحال»، ركّز منيمنة على أهمية المشروع الذي سيحمله رئيس الجمهورية أكثر منه على الاسم.

أما القعقور فشرحت أنّ تصويتها للوزير السابق زياد بارود، خلفيته رفض «الانخراط في الاصطفاف السياسي والطائفي الكبير الذي سبق جلسة 14 حزيران، تعبيراً عن وجود خيار خارج جناحي الصراع»، وتطرقت إلى رفض التدخلات الخارجية في الاستحقاق.

في المقابل لم تُوجَّه دعوات إلى النواب الياس جرادة ونجاة صليبا وسينثيا زرازير ومارك ضو وفراس حمدان، والمعلومات تفيد بأنّ السفارة ارتأت دعوة عدد من النواب الذين يمثلون التوجهات المختلفة ضمن مجموعة «التغيير». بالموازاة، وصف جرادة مشهدية قصر الصنوبر بـ«المؤلمة»، وقال في اتصال مع «الأخبار»: «مؤسف أننا لا نزال ننتظر موفد دولة أجنبية ليجمعنا من أجل استحقاق داخلي صرف».

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

«فتوى» نصرالله تذلّل شغور قيادة الجيش

منذ الجلسة الأخيرة لانتخاب الرئيس في 14 حزيران والنتائج المترتبة على الاقتراع، غدا منطقياً أن الاستحقاق دخل في اجازة طويلة، أقرب الى غيبوبة، ان لم تسابقه مفاجأة او صدمة غير محسوبة. لا احد يسعه تقدير عمر الاجازة: الى اخر الصيف أم الى اخر السنة؟

نقولا ناصيف

لا يزال الشغور الرئاسي في سن قصيرة، في شهره الثامن، اذا كان لا بد من الأخذ في الاعتبار ان ثمة سابقة له بين عامي 2014 و2016 طالت الى سنتين وخمسة اشهر. تالياً، بمسي الانتظار عادياً، وانعقاد الجلسات او عدم انعقادها هامشياً، واستمرار الشغور غير ذي مصدر قلق في واقع يتعوّد اللبنانيون والسلطات عليه ويتطبّعون معه: تحسّن قدرتهم على احتمال التدهورين المعيشي والنقدي، ادارات رسمية معطلة معظم ايام الاسبوع، سلطتان دستوريتان هما مجلس النواب والحكومة يعملان بالحد الادنى، فيما اكثر ما يبعث على الاطمئنان ان احداً من الافرقاء ليس في وارد المغامرة والمجازفة بتعريض الامن الداخلي الى الاضطراب. على نحو كهذا مرت الاشهر المنصرمة. لا عجلة في التئام جلسة انتخاب الرئيس في ظل توازن قوى أحاله مستحيلاً ولا يزال الى الآن على الإقل.

قبل اكثر من شهر دُلّلت مشكلة ظنَّ انها ستستعجل انتخاب رئيس للجمهورية حملت على الاعتقاد بوقوع الانتخاب هذا الشهر، هو جدل كان بدأ في آذار المنصرم وامتد الى الشهرين التاليين عن معضلة ما بعد نهاية ولاية حاكم مصرف لبنان رياض سلامة في 31 تموز، واي خيارات متاحة لحكومة الرئيس نجيب ميقاتي كما لكل الدائرين في فلك سلامة او الدائر هو في فلكهم، حيال كيفية خروجه من المنصب أمناً والاتيان بخلف له على طاولة حكومة تصريف اعمال في غياب رئيس للجمهورية.

في 12 ايار قدّم الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله الحل، الملزم حكماً. قال انه ضد تعيين حاكم جديد لمصرف لبنان وضد تمديد ولايته، و«على الجميع تحمّل مسؤولياته وعدم التخلي عنها». الشهر نفسه، في عيد التحرير والمقاومة في 25 ايار، اعاد تاكيد الموقف بأن حكومة تصريف اعمال لا تملك صلاحية التعيين والعزل دستورياً و«المطلوب التفاهم على البديل». اتى موقفاه هذان معاكسَيْن لما صرّح به رئيس البرلمان نبيه برّي اكثر من مرة انه ضد تولي النائب الاول صلاحيات الحاكم فور شغور منصبه. في الاسابيع الاخيرة لم يعد احد يتحدث عن سلامة او يأتي على ذكره، وبات يُنظر اليه - مع كل ارتكاباته والحمايات المظلّلة لها - على انه صار من الماضي توطئة لخروجه اخيراً.

بذلك بدا احلال النائب الاول للحاكم وسيم منصوري محله حتمياً، تبعاً للاجتهاد الذي عبّر عنه ضمناً نصرالله: على نحو ما رافق احالة اللواء عباس ابراهيم على التقاعد في 2 آذار وتعيين العميد الياس البيسري مديراً عاماً للامن العام بالانابة في اليوم التالي بتأجيل احالته الى التقاعد واعادته الى الخدمة الفعلية، صار القياس طبيعياً ومتوقعاً. لمزيد من التطمين والنظر بايجابية بانتقال طبيعي من اصيل الى وكيل، ومن طائفة الى اخرى موقتاً، رقي البيسري في 26 ايار الى لواء بعدما شغرت في ملاك المديرية العامة للامن العام رتبة لواء - وهي الوحيدة - فحازها.

يكاد في المرة الثانية الوشيكة، من المنتظر توقعه في المرة الثالثة اذا طال الشغور الرئاسي الى ما بعد تشرين الاول.

يكمن الامتحان الجديد في شغور منصب قائد الجيش العماد جوزف عون الذي يحال الى التقاعد في 10 كانون الثاني 2024. لان لا رئيس للاركان في الجيش مذ احيل اللواء امين عرم الى التقاعد في 24 كانون الاول 2022 ، وهو الرجل الثاني في بغية انتظام المؤسسة حلّ الضابط الماروني محل الضابط الشيعي ريثما الوصول الى مرحلة ما بعد انتخاب رئيس للجمهورية. هكذا يحل ايضاً نائب الحاكم الاول الشيعي محل الحاكم الماروني للسبب نفسه. لم تعد مذاك حوافزّ لاستعجال انتخاب الرئيس ولا القلق من شغور غير قائم في الاصل في مصرف لبنان.

ما صحّ في المرة الاولى وساد او

> اقتراح قائد الجيش اسم رئيس الاركان مخالفة لقانون الدفاع

يكاد في المرة الثانية الوشيكة، من المنتظر توقعه في المرة الثالثة اذا طال الشغور الرئاسي الى ما بعد تشرين الاول.

يكمن الامتحان الجديد في شغور منصب قائد الجيش العماد جوزف عون الذي يحال الى التقاعد في 10 كانون الثاني 2024. لان لا رئيس للاركان في الجيش مذ احيل اللواء امين عرم الى التقاعد في 24 كانون الاول 2022 ، وهو الرجل الثاني في المؤسسة العسكرية يخلف قائدها - نشأت المشكلة الحالية التي، خلافاً للامن العام وحاكمية مصرف لبنان، تتداخل فيها الحسابات والاثمان السياسية المبكرة واللاحقة.

عملاً بقانون الدفاع الوطني، فإن وزير الدفاع صاحب الصلاحية الحصرية لاقتراح اسم رئيس الاركان على ان يصير الى تعيينه في مجلس الوزراء الذي يملك ان لا يوافق على الاسم المقترح ويعيده الى الوزير، بيد ان لا صلاحية له في استبداله باخر ولا اقتراح اي اسم لا يوافق عليه الوزير. في الايام الاخيرة اثير مخرج يقضي خلافاً لقانون الدفاع بأن يتولى قائد الجيش - بل قيل انه هو صاحبه - اقتراح اسم رئيس الاركان يُعيَّر عنه في اوساط البيرزة انه «فذلكة ما بعدها فذلكة». كان عون تحدث الاربعاء المنصرم عن هذا الموقف في خلال تقليده العمداء الجدد رتبهم بأن احداً لا ينوب عن قائد الجيش الا رئيس الاركان.

تقيم المشكلة الجديدة وحلولها في ان في المعطيات الآتية:

1 - يحلّ رئيس الاركان محل قائد الجيش عند شغور منصبه او في خلال تعذّر قيامه بوظيفته لأسباب اسفاره او صحية. على ان استمرار عمل المؤسسات يقدّم بدوره حلاً عندما يشغر منصب الرجل الثاني في الجيش بعد الرجل الاول بأن يحلّ الضابط الاعلى رتبة في المنصب الاعلى. المرشح لملء الشغور، عندما يحين اوانه إن لم يُعيّن رئيس جديد للاركان، هو العضو المتفرغ الكاثوليكي في المجلس العسكري اللواء بيار صعب. اعلى الوية الجيش رتبة حالياً بعد قائده، والاعلى رتبة في مَن تبقى من اعضاء المجلس العسكري. الواقع ان المتبقي من المجلس العسكري، بعد عون وصعب، ثالث لا غير هو العضو السنّي الامين العام للمجلس الاعلى للدفاع اللواء محمد مصطفى.

2 - لأن صلاحية وزير الدفاع في اقتراح رئيس الاركان مقيّدة، يصعب على مجلس الوزراء او اي جهة اخرى تجاوزها بما فيها قائد الجيش. ذهاب مجلس الوزراء الى تعيين رئيس للاركان خارج النطاق القانوني المحدّد للصلاحية والمقيّد للوزير يجعله عرضة للطعن والابطال، ناهيك بتجاوز قائد الجيش حد السلطة المعطاة له.

3 - يقيم اصل المشكلة في ان وزير الدفاع موريس سليم محسوب على رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل الطاعن - منذ شغرت رئاسة الجمهورية - في شرعية اجتماعات حكومة مستقيلة تتولى صلاحيات الرئيس وبطلان قراراتها، ناهيك بمقاطعة وزرائه، ومنهم سليم، جلسات مجلس الوزراء. بلا موافقة باسيل يصعب الحصول على موافقة الوزير على اقتراح اسم رئيس الاركان. بيد ان المستحسن عند رئيس التيار الوطني الحر وصول بيار صعب الى منصب قائد الجيش بالانابة.

4 - ليس في الامكان التوصل الى تسوية تفضي الى تعيين رئيس للاركان تبعاً للاصول والاحكام المنصوص عليها في قانون الدفاع الوطني دونما ربطها ببازار سياسي بين اثنين معنيين بالمنصب: وليد جنبلاط المعتاد منذ عام 1990 انه المرجع الوحيد لتسمية رئيس الاركان الدرزي، وباسيل حامل توقيع وزير الدفاع في جيبه. من دونهما يصعب بلوغ تسوية تطاول مكاسب سياسية اكثر منها معلّقة على منصب عسكري. بيد ان تجاوز احدهما من شأنه التسبب بمشكلة جديدة داخل المؤسسة العسكرية هي الآن في غنى عنها في ظل الاحتدام الدائر بين وزيرها وقائدها. على ان كلّ جنبلاط وباسيل معني بوصول رجله الى ان يكون قائد الجيش بالانابة في المرحلة المقبلة.

نجاح تجربة الامن العام والتحضير لتكرارها في حاكمية مصرف لبنان في طريقه الى الجيش (هيثم الموسوي)

تقرير

ديوان المحاسبة وهيئة الشراء العام «يتتبّعان» القائد

علمت «الأخبار» أن وزير الدفاع في حكومة تصريف الأعمال موريس سليم راسل كلاً من ديوان المحاسبة وهيئة الشراء العام حول عقود بالتراضي تجريها قيادة الجيش وقبولها هبات مالية من دول أجنبية، من دون العودة إلى مجلس الوزراء ووزارة الدفاع، وذلك بعد سلسلة مراسلات كان سليم قد بعث بها الى قيادة الجيش من دون أن يرد منها أيّ رد.

ومعلوم أن هناك خلافاً بين سليم وقائد الجيش العماد جوزف عون، برز إلى العلن مع بداية العام الجاري على خلفية تعيين مفتّش عام للجيش بالوكالة وملفّات أخرى تتعلّق بالتعيينات العسكرية والهبات، بعدما ارتضى قائد الجيش تحوّل الدعم الخارجي العيني للمؤسسة العسكرية إلى دعم مالي على شكل دولارات نقدية، بلغت عشرات ملايين الدولارات قدّمتها الولايات المتحدة على دفعات، إضافة إلى عشرات الملايين من قطر ومن أطراف أخرى. وقد تولّى قائد الجيش أخذ الأمور على عاتقه، فلم يكلف نفسه عناء التشاور مع وزير الدفاع، ولم يلتزم بالقانون الذي يحتّم الحصول على موافقة مجلس الوزراء قبل قبول هذه الهبات.

كذلك تُحيط علامات استفهام كثيرة بالعقود التي تجريها قيادة الجيش بالتراضي، كما في صفقة بيع كمية ضخمة من الأسلحة الفردية مقابل مبلغ زهيد (https://al-akhbar.com/Politics/357021) أو حتى في صفقة شراء «رينجرات» عسكرية (https://al-akhbar.com/Politics/363966) باضعاف سعرها، وغيرهما من عقود رضائية لتركيب ألواح طاقة شمسية وتزفيت طرقات وصيانة آليات، كلها لم تخضع لمزايدة أو استدراج عروض، ولم تمرّ بمجلس الوزراء أو بالوزير المختص (وزير الدفاع) كما يقتضي قانون المحاسبة العمومية.

وقد راسل سليم قائد الجيش مراراً لسؤاله عن هذه الملفات، من دون أيّ تجاوب من عون على مراسلات الوزير الذي لجأ إلى الهيئات الرقابية، وأرسل ملفاً إلى ديوان المحاسبة، ترجّح المعلومات أنّ موضوعه الأساسي البحث في كيفية قبول قائد الجيش طوال الفترة السابقة، للهبات عينية كانت أو نقدية، وخاصة أن الهبات تلزمها طريقة قيد معيّنة، ومراقبة إنفاق. وهذا ما يفترض أن يباشر الديوان في بحثه بعد عطلة عيد الأضحى.

في سياق متّصل، طلب رئيس هيئة الشراء العام جان العلّية من قيادة الجيش مستندات وتفاصيل تتعلّق بعقد بالتراضي وقّعته القيادة مع شركة Rocks trading FZ-LLC لشراء شحنات من أحذية «رينجر» الصحراوية للعسكريين، لم تسلك المسارات القانونية المفترضة، ولم يعلم بها مجلس الوزراء ولا وزير الدفاع، وتتضمّن أرقاماً تثير كثيراً من التساؤلات والشبهات. وقد مرّ نحو عشرة أيام ولم يصل لتاريخه أيّ مستند من قيادة الجيش إلى «الشراء العام» بعد.

(الأخبار)

على الغلاف

واشنطن تعيّن قائدة للجيش اللبناني!

جمال غصن

عقدت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي، ليل الأربعاء الفائت (بتوقيت بيروت)، جلسة استماع لتعيينات دبلوماسية جديدة لإدارة الرئيس الأميركي جو بايدن. كانت السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا من بين خمسة دبلوماسيين استجوبتهم اللجنة برئاسة السيناتور عن ولاية ديلاوير كريس كونز. توسّطت شيا الخمسة، فجلس السفيران المعيّنان في ليتوانيا وإيطاليا إلى يسارها والسفيرتان المرسلتان إلى الغابون وبوروندي الى يمينها. الجلسة كانت فولكلوريّة، فقد شكرت اللجنة الدبلوماسيين على «تضحياتهم الشخصية»، وسألتهم سؤالاً روتينيّاً عن كيفية مواجهة الخطر الداهم المتمثّل بجمهوريّة الصين الشعبية. شيا لن تضطر إلى أن «تضحّي» بعد الآن، إذ تمّ تعيينها في نيويورك نائبة للمندوب الأميركي الدائم لدى الأمم المتّحدة. أهميّة الجلسة تكمن في أنّها الإجراء قبل الأخير في عمليّة تغيير الحرس في عوكر (رغم أنه

انبهار بـ«قدرات القوات المسلّحة اللبنانيّة التي تمنع حزب الله من مزيد من السيطرة»

بالكاد ذُكِر اسم لبنان في الجلسة، إذ يبقى التصويت من قبل مجلس الشيوخ على التعيينات، والذي غالباً ما يكون تحصيل حاصل في حالة السفراء، فنحن لا نناقش تعيين قاضٍ في المحكمة العليا هنا. إذاً، أيام أو أسابيع كحد أقصى تفصلنا عن رحيل دوروثي شيا وحلول ليزا جونسون مكانها.

جلسة الاستماع لليزا جونسون قبل شهر كانت مختلفة جدّاً عن جلسة شيا، إذ كان هناك هوسٌ كبير من الشيوخ المستجوبين بلبنان. إلى جانب جونسون، جلس السفراء المعيّنون في عمان، الدولة الأهمّ في الوساطة بين إيران ودول الخليج حسب قول مترئس الجلسة السيناتور كريس مرفي عن ولاية كونيكتيكت، وإثيوبيا، التي شهدت أكثر الأحداث دمويّة عام 2022، إضافة إلى سيراليون وأوغندا. لكن رغم أهميّة التعيينات الأخرى، شغلت جونسون وتوجهها إلى بيروت الحيّز الأكبر من الاستجواب. بالأرقام، بعد الكلمات الافتتاحية وشكر السفراء على تضحياتهم، كانت هناك 55 دقيقة من الأسئلة والأجوبة، استحوذت جونسون على 23 دقيقة منها مقابل 32 دقيقة للسفراء الأربعة الآخرين. بالمناسبة جونسون «خدمت» الشعب الأميركي 32 سنة (مقابل 31 سنة في رصيد شيا).

السؤال الأوّل من السيناتور مرفي، الذي زار لبنان برفقة السيناتور كبير من الشيوخ المستجوبين بلبنان. إلى جانب جونسون، جلس السفراء المعيّنون في عمان، الدولة الأهمّ في الوساطة بين إيران ودول الخليج حسب قول مترئس الجلسة السيناتور كريس مرفي عن ولاية كونيكتيكت، وإثيوبيا، التي شهدت أكثر الأحداث دمويّة عام 2022، إضافة إلى سيراليون وأوغندا. لكن رغم أهميّة التعيينات الأخرى، شغلت جونسون وتوجهها إلى بيروت الحيّز الأكبر من الاستجواب. بالأرقام، بعد الكلمات الافتتاحية وشكر السفراء على تضحياتهم، كانت هناك 55 دقيقة من الأسئلة والأجوبة، استحوذت جونسون على 23 دقيقة منها مقابل 32 دقيقة للسفراء الأربعة الآخرين. بالمناسبة جونسون «خدمت» الشعب الأميركي 32 سنة (مقابل 31 سنة في رصيد شيا).

السؤال الأوّل من السيناتور مرفي، الذي زار لبنان برفقة السيناتور كريس فان هولين من لجنة العلاقات الخارجيّة أيضاً، كان شهادة انبهار أكثر منه سؤالاً. والانبهار كان بـ«قدرات القوات المسلّحة اللبنانيّة واستعدادها للوقوف بين الفصائل التي غالباً ما تظهر النيّة للتحارب الطويل الأمد»، وهي (القوات المسلحة اللبنانية) «من الأشياء القليلة التي تمنع حزب الله من مزيد من السيطرة على بيئة انعدام الأمن». هنا، تصرّفت السفيرة القادمة وكأنها الآمر الناهي في شؤون الجيش والدرك. السؤال الثاني كان من السيناتور تود يونغ، الذي يمثّل ولاية إنديانا، وكان عن التوجّه شرقاً ومدى التزام لبنان بـ«مبادرة الحزام والطريق» الصينيّة. وهنا أكّدت جونسون أنه رغم توقيع الاتّفاقية مع الصين، لم يجرؤ لبنان على المضيّ قدماً في أيّ مشاريع مع العملاق الآسيوي لما قد يترتّب على مَنْحَي هكذا قرار من تداعيات.

> **دوروثي لم تعُدّ في كانساس**
>
> في فيلم «ساحر أوز» الكلاسيكي الذي برعت في أداء دور البطولة فيه جودي غارلاند، تجد البطلة التي تحمل اسم دوروثي نفسها في عالم سحريّ ما ورائيّ. في الإفادة التي تلتها السفيرة الأميركيّة السابقة في لبنان دوروثي شيا أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي تعهّدت بأنّها ستكافح ضد معاداة الساميّة في منظومة الأمم المتّحدة. وكما دوروثي «أوز» وكلبها «توتو»، تستمرّ المعارك الوهميّة.

السؤال التالي كان من السيناتور تيم كاين من ولاية فيرجينيا (بالمناسبة كلّهم من الحزب الديمقراطي حتى الآن)، وهو: ماذا لو انهار لبنان، وما المصلحة الأميركية في عدم انهياره؟ جواب جونسون كان واضحاً: لبنان لا يزال يقع على تقاطع مصالح الأمن القومي الأميركي في «الشرق الأوسط». وأكملت «لديك إسرائيل على الحدود الجنوبيّة التي يتوجّب عليها أن تدافع عن نفسها مقابل حزب الله. لديك سوريا وعدم الاستقرار والحرب التي حرّض عليها الدبكتاتور الوحشيّ الأسد، ولديك إيران ووكيلها حزب الله اللذان ينشران عدم الاستقرار في لبنان والمنطقة».

أخيراً حان دور السيناتور الجمهوري، بيت ريكتس من ولاية نبراسكا. قبل طرح سؤاله، أراد ريكتس التوجه بتحيّة لأقرب «أصدقاء أميركا في العالم وحتماً في المنطقة» التي تحتفل بعيدها

> **حماس، حزب الله، فرقة حسب الله**
>
> لم يعرف السيناتور تيم ريكتس، خلال جلسة الاستماع للسفيرة ليزا جونسون، الفرق بين حركة حماس وحزب الله. استذكر زيارته لفلسطين المحتلّة هذا العام، واستصغر حجمها، إذ كان بإمكانه من طوّافته أن يرى سوريا ولبنان والبحر. لكنّ جهله ظهر عندما كان يروي كيف كان يسمع الضجيج الصادر عن حفر «حركة حماس» لأنفاق على مدى عشر سنوات في الصخر الكلسي، وكيف كان يرى مقاتلي حماس على الجهة المقابلة من حدود فلسطين الشماليّة. «حماس ما زالت موجودة، يمكننا رؤيتها من الحدود الإسرائيلية».

«السبعين»، لن نصحّح له تاريخنا. طبعاً التاريخ تاريخ. لكن ما يلي التاريخ قابل للنقاش. ليزا، دوروثي الجديدة، حسمت أن التزام الأميركيين بأمن عملائهم صلب.

من غيرهم يجرؤ على التحدي؟

هنا ندخل في تفاصيل التحدّي. يتحدّث السيناتور ريكتس كيف رأى بعينه المجرّدة مقاتلي حماس على الجهة المقابلة من الحدود. جونسون تشارك قلقه حول الصواريخ التي تستهدف «إسرائيل» من لبنان وغزّة، وتؤكّد أنّ التزام الولايات المتّحدة بأمن «إسرائيل» صلبٌ كالحديد، وأن «إسرائيل» ستستمرّ بحقّها الطبيعي بالدفاع عن نفسها. تطرّقت جونسون إلى ثلاثة عشر موقعاً تمّ حجبها عن الإنترنت، وهدّدت بالمزيد. والفكرة هنا هي أن حزب الله يعاني من أزمة ماليّة ولن يقدر على الاستمرار من دون أن تنفتح ماسورة التمويل عليه. وهنا تقول إنّ اتّكاله على الحلفاء في الإمارات وقطر والسعوديّة.

ثمّ انتقل الحديث إلى الانتخابات الرئاسيّة. وهنا دخلت الدبلوماسيّة، وأنّ الولايات المتّحدة لا تتدخّل في اختيار رئيس جمهوريّة لبنان. لكن، للولايات المتّحدة توصيات حول صفات الرئيس، عليه أن يكون متحرّراً من الفساد وأن يضع هموم الشعب أوّلاً. وطبعاً أن يكون قادراً على تطبيق الإصلاحات. هنا ضحك الجميع على تفاؤل جونسون وأسرّوا على أن لبنان يحتاج إلى التفاؤل. خُتِم الحديث عند السيناتور فان هولين الذي تحدّث عن «الحلّ الأعجوبة» لمشكلة الكهرباء الذي طرحته السفيرة شيا، غاز مصري وكهرباء أردنيّة وبهلوانيّات على قانون قيصر.

تمتمت ليزا جونسون نفس الحلول الماضية، ويبدو أن هذه هي حلول أميركا للبنان في السنوات القادمة. لكنّ الأبرز هو أنّ رئيس الجلسة السيناتور كريس مرفي يعتبر أن السرديّة الأميركيّة فشلت في خلق وعي عام. هكذا خُتمت الجلسة، وهكذا تُختم الهيمنة.

أبرز ما قالته ليزا جونسون

- إذا تم تعييني، يشرّفني أن أعود إلى لبنان، حيث كان لي امتياز الخدمة بين عامي 2002 و2004. خلال ذلك الوقت، اكتسبت تقديراً عميقاً لحيويّة الشعب اللبناني وتثمينياً للتحديات التي يواجهها، والتي تشمل فساداً متفشياً، حَوكمة سيّئة، وتهديد حزب الله لسيادة وأمن بلادهم.

- فشلت قيادات لبنان في تطبيق إصلاحات اقتصاديّة مصيريّة مطلوبة من برنامج صندوق النقد الدولي، المسار الواقعي الوحيد للتعافي.

- ممتنّة بعمق للدعم المقدّم من قبل حزبَيّ الكونغرس للقوات المسلّحة اللبنانيّة وقوى الأمن الداخلي كونهم شركاء موثوقين في الحفاظ على استقرار لبنان وأمنه. منذ عام 2006، قدّمنا دعماً بقيمة 3 مليارات دولار، مكّن هذه القوّات من تعزيز سيادة لبنان، معالجة عدم الاستقرار، تعطيل الإرهابيين، ومواجهة سردية حزب الله الزائفة بأن أسلحته ومقاتليه غير القانونيّين ضروريّون للدفاع عن لبنان.

- كما تبيّن من التسميات المطروحة على لوائح العقوبات أخيراً، أن الولايات المتّحدة ما زالت ملتزمة بمكافحة الفساد في لبنان، وساستمرّ بإيلائها الأولويّة. إذا تمّ تعييني، أنا أيضاً واضحة الرؤية في ما يخصّ التهديد الذي يشكّله حزب الله لسيادة لبنان واستقراره، وكذلك للولايات المتّحدة وإسرائيل والمنطقة.

عن الجيش وقوى الأمن:

- لقد أنفقنا الكثير من الأموال على المساعدة الأمنيّة للقوات المسلّحة من أجل تطويرها إلى قوّة مهنيّة وقادرة على مواجهة أي تهديد في لبنان. تحديداً، عزّزنا قدراتها على الدفاع عن حدود لبنان، معالجة عدم الاستقرار، محاربة الإرهاب، تفكيك شبكات تهريب المخدّرات، الحفاظ على الأمن والسلم، وقد تولّت هذه المهام بشكل جيّد... هم شركاء موثوقون من قبل الولايات المتّحدة مع سجلّ مثالي في متابعة المساعدة التي قدّمناها لهم.

- من أهمّ الأمور في دعم القوات المسلّحة اللبنانيّة هو أنه يقوّض سرديّة حزب الله وادّعاءه الزائف أنّ سلاحه ضروريّ للدفاع عن لبنان. كما نرى باستمرار، القوات المسلّحة اللبنانيّة تنتشر بشكل فعّال لمواجهة أي تهديد يواجه لبنان.

عن الصين:

- نعم لبنان وافق على مبادرة الحزام والطريق عام 2017، لكن حسب معلوماتي لا توجد أي استثمارات صينيّة مهمة في لبنان. نحن نكرّر بشكل دائم مع شركائنا هواجسنا حول مخاطر التعامل مع الصين، بسبب استثمارات ماليّة إشكاليّة غير شفّافة في البنى التحتيّة.

عن المنطقة:

- لديك إسرائيل على الحدود الجنوبيّة التي يتوجّب عليها أن تدافع عن نفسها مقابل حزب الله. لديك سوريا وعدم الاستقرار والحرب التي حرّض عليها الديكتاتور الوحشيّ الأسد، ولديك إيران ووكيلها حزب الله اللذان ينشران عدم الاستقرار في لبنان والمنطقة.

عن «إسرائيل»:

- أشكرك يا حضرة السيناتور على قلقك حول الهجومات الأخيرة من جنوب لبنان وأخيراً من غزّة. الالتزام الأميركيّ بأمن «إسرائيل» فولاذيّ تماماً.

عن العقوبات:

- هناك العديد من الأماكن التي نستهدف بها حزب الله، أفراداً وكيانات، وذلك مهمّ... وأتفهّم أنّ حزب الله يقع تحت ضغط مالي.

تقرير

لا تزال تدّعي أن الودائع بخير
جمعية المصارف تواصل التضليل

رلى إبراهيم

اخترعت جمعية المصارف فوزاً وهمياً لتضليل المودعين مقابل تبييض صورتها كحريصة على الودائع. فقد أصدر مجلس شورى الدولة قراراً بقبول مراجعة قدّمتها الجمعية لإبطال قرار مجلس الوزراء الرقم 3 (المحضر الرقم 32 تاريخ 20 أيار 2022) في شقّه المتضمن الموافقة على استراتيجية النهوض بالقطاع المالي عبر «إلغاء جزء كبير من التزامات مصرف لبنان بالعملات الأجنبية تجاه المصارف، لخفض العجز في رأس مال مصرف لبنان»، إذ اعتبر المجلس، أن له صلاحية البتّ في قرارات الحكومة كون موضوع الطعن من عداد «القرارات الإدارية بمنطوق المادتين 67 و105 من نظام مجلس شورى الدولة»، وأن القرار بما يتضمنه من إلغاء لجزء كبير من التزامات مصرف لبنان تجاه المصارف، له تأثير ملحوظ على أوضاع المصارف. لذا، أقرّ المجلس، بالإجماع، صلاحيته بالفصل في المراجعة واعتبار القرار المطعون فيه قابلاً للطعن، وفتح المحاكمة.

أتى قبول الطعن شكلياً، ليبقى الأساس في التوسّع بالمضمون. أي أن القرار غير نهائي أو حاسم لجهة إلغاء البند وفقاً لذرائع جمعية المصارف، لكنّ الجمعية المأزومة وجدت فيه خشبة خلاص لمحاولة شطب وتعديل صورة «الحرامية» التي لصقت بها في السنوات الأربع الأخيرة. هكذا سوّقت للقرار الشكلي بأنه انتصار لحقوق المودعين، وأنه قرار يمنع «شطب ودائعهم». وثمة من صدّق هذه الأكذوبة لأنها تمنحهم أملاً باستعادة أموالهم. غير أن الحقيقة في مكان آخر. فالمجلس، حتى في حال التوسّع في مضمون القرار المطعون فيه، هو غير قادر على التعامل مع مسألة توزيع الخسائر، لأنه ليس صاحب اختصاص، وصياغة خطة جديدة أو تعديلها ليس من صلاحياته بل يقتضي عمله فقط النظر في القوانين ومدى مطابقتها مع القرارات الإدارية.

وبحسب المحامي كريم ضاهر، ينظر المجلس في القضية من ناحية وجود نزاع بين القرارات التنظيمية والقرارات الحكومية. ويلفت الى أن الحكومة ارتكبت خطأً بإصدار خطة النهوض المالي ضمن قرار، بينما الأجدى كان إصدار مشروع قانون يتضمن خطة مرفقة به. هذا الخطأ فتح مجال الطعن، وشكّل ثغرة استغلّتها جمعية المصارف. في غضون ذلك، عمدت الجمعية إلى تضليل المودعين عبر إيهامهم بأن الودائع لن تُشطب وستبقى «بخير». لكن ما تريده جمعية المصارف فعلياً، وما يحصل منذ بدء الأزمة، كما يقول ضاهر، يتلخّصان في: «الهروب من المحاسبة، الإفلات من العقاب، منع أي مسعى لاستعادة الأموال المتأتية من الفساد، عدم محاسبة رؤساء مجالس إدارة المصارف ومديريها والحرص على عدم فتح أي ملف لأي مسؤول سياسي أو مصرفي ورفض إعادة رسملة المصارف إذاً من

> **المصارف تحاول شطب صورة «الحرامية» التي التصقت بها في السنوات الأخيرة**

أين يستعيد المودعون أموالهم؟ من النموّ كما يدّعون. لكن هذا النموّ مستحيل في غياب اتفاق مع صندوق النقد وفي غياب الثقة الدولية. أما الاتجاه المعتمد من مصرف لبنان والمصارف فهو تثبيت الدين على الدولة عبر التلاعب بقيود البنك المركزي لتحميل المواطنين ديناً هائلاً بهدف إعفاء حاكم مصرف لبنان من أي مسؤولية، بالإضافة إلى تظهير المصارف على أنها غير مفلسة ولا متخلّفة عن السداد». عملياً، النموّ يعني تغطية الخسائر على حساب كل فئات المجتمع بشكل لا يميّز بين من هم تحت خطّ الفقر ويمثّلون الغالبية العددية، والأثرياء الذين يمثّلون أقلية. أليات توزيع الدخل والثروة في لبنان لم تكن عادلة أصلاً، فكيف إذا جرى تضمينها أعباءً إضافية تعزّز الفجوات بين طبقات المجتمع؟

ثمة نقطة مهمة جداً في كل ما سبق، وهي أن مجلس الشورى أبطل بنداً في خطة تغيّرت أساساً، إذ كلّف نائب رئيس مجلس الوزراء سعادة الشامي بمشاورة كل الأفرقاء لإضفاء تعديلات عليها. فصاغ خطة بديلة في تشرين الأول 2022، وأدخل عليها ما يسمّى صندوق استعادة الودائع وميّز بين ودائع مشروعة وغير مشروعة. أما الطريق لغربلة الودائع، بحسب ضاهر، فيكمن في التدقيق بكل الحسابات عبر التحقّق من أصلها برفع السرية المصرفية. عند ذلك الحدّ يتم شطب الودائع غير المشروعة تلقائياً من دون الحاجة إلى قانون. ويكشف ضاهر «استناداً إلى معلومات دقيقة»، أنه إذا أُخضعت الخسارة المقدّرة بـ73 مليار دولار، للتدقيق، فلن يبقى إلا ما يراوح بين 20 مليار دولار و30 ملياراً فقط، وتصنّف باقي الأموال غير مشروعة. وبالتالي يمكن، بالإضافة إلى استرداد الأموال غير المشروعة (القانون 2021/214) ومنها أموال رياض سلامة المقدّرة بـ300 مليون دولار، البدء بمسار التعافي المالي وتقديم حلول فعلية للمودعين بدلاً من التضليل الذي تمارسه الجمعية.

كما يشار إلى أن قرار مجلس الشورى شكلي، أي لا يمكنه التطرق إلى مضمون الخطة بمعزل عن نتيجة القرار. القرار لن يغيّر في مضمون أي خطة أو أي إجراء تعدّه السلطة بشكل متلائم مع القوانين القائمة أو من خلال تشريعات جديدة. فمجرد تحويل الخطة إلى إجراءات في مجلس النواب، لن يكون مجلس الشورى لديه أي صلاحية، بل سيصبح المجلس الدستوري هو الجهة المخوّلة للنظر في دستورية القوانين.

(أ ف ب)

أخبار

إنذار لمحطّة وقود في حرم «الجامعة العربية»!

وجّهت مصلحة المؤسسات المُصنّفة التابعة لمحافظة بيروت إنذاراً فورياً إلى جامعة بيروت العربيّة بـ«عدم استثمار محطة الوقود التابعة لها إلى حين الاستحصال على الترخيص المطلوب»، علماً أن لا إمكانيّة للاستحصال على مثل هذا الترخيص، بحسب مسؤولين في بلديّة بيروت، لكوْن المحطّة موجودة ضمن الحرم الجامعي ولا تلتزم بمعايير السلامة العامّة، خصوصاً أن القائمين عليها يقومون بتخزين الوقود فيها عبر شركاتٍ غير رسميّة منذ بدأت أزمة شح المحروقات.

وكان المحامي محمّد خير الكردي تقدّم الثلاثاء الماضي بإخبارٍ إلى محافظ بيروت القاضي مروان عبود بـ«الإيعاز للأجهزة المختصة في بلدية بيروت بصورة عاجلة لإجراء الكشف الفني على محطّة الوقود غير المرخّصة الموجودة داخل حرم الجامعة في الطريق الجديدة وبين الطلاب، ولتبيان مدى مطابقتها للأنظمة المرعيّة الإجراء، حرصاً على ضرورات المصلحة والسلامة العامّة وإحالة القائمين عليها إلى القضاء المختص».

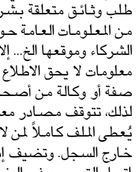

في المقابل، يشير بعض المتابعين إلى أنّ القائمين على المحطّة لا يزالون يقومون بتخزين المحروقات فيها رغم قرار مصلحة المؤسسات المُصنّفة.

دفعة درك جديدة إلى النافعة

قرر وزير الداخلية والبلديات بسّام المولوي والمدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان فرز بين 15 و20 عنصراً من قوى الأمن للعمل في مركز مصلحة تسجيل السيارات والآليات في الدكوانة، لتشغيل الأقسام التي لا تزال متوقّفة عن العمل في المركز، كأقسام الشحن العمومي، والشحن الخصوصي، والسياحة العمومي، والدراجات.

فلتان في السجل التجاري في بعبدا

يحصل في السجلّ التجاري في بعبدا أنّ مساعدين قضائيين يعطون، «على الثقة»، لمخلّص معاملات أو أحد المحامين الملف الأصلي الكامل لأي شركة، ويسمحون له، بشكل مخالف للقانون، بإخراجه إلى خارج السجل لتصوير أي مستندات قبل إعادته، علماً أنّه في حال فقدان الملف تصبح الشركة وكأن لا وجود لها في السجلّ التجاري.

هذا السلوك، سببه الأساسي غياب المكننة وعدم توافر آلة طبع داخل السجل نفسه. ورغم أنه يحقّ للمحامي أو مخلص المعاملات طلب وثائق متعلقة بشركة ما، مما يعتبر من المعلومات العامة حول الشركة كأسماء الشركاء وموقعها الخ... إلا أن الملفات تتضمن معلومات لا يحق الاطلاع عليها إلا لمن لديهم صفة أو وكالة من أصحاب الشركة نفسها. لذلك، تتوقف مصادر معنية عند خطورة أن يُعطى الملف كاملاً لمن لا صفة له وإخراجه خارج السجل. وتضيف إنه إذا كان لا بدّ من إتمام التصوير في الخارج، نظراً إلى عدم توفّر الخدمة داخل السجل، فيجب أن يقتصر منح الوثائق على تلك التي يطلبها مخلّص المعاملات أو المحامي ضمن حدود صفته وما هو مسموح له بالاطلاع عليه.

التطبيع السعودي مع إسرائيل: من الخفاء إلى العلن

أسعد أبو خليك *

أولويّة تحقيق التطبيع بين السعودية وإسرائيل تشغل الإدارة الأميركية في سنة انتخابيّة. والموضوع لم يعد سرّاً من الأسرار، إذ إن المفاوضة جارية في سوق المفاوضات الأميركية الإسرائيلية السعودية، بطرق مباشرة وغير مباشرة. والتركيز المكثف على هذا الهدف لإدارة بايدن ينمّ عن جهل بسياسة وثقافة العالم العربي. يعتقد خبراء الشرق الأوسط في الإدارات الأميركية أن السعودية هي زعيمة العالم الإسلامي بحق وحقيق. لا يعلم هؤلاء أن السعودية، من دون الثروة النفطية، لا تزيد في النفوذ عن دولة موريتانيا أو لبنان. الحكم السعودي احتاج عبر عقود إلى التركيز على المشروعية الدينية الإسلامية للمملكة، خصوصاً بعد الثورة الإسلامية في إيران وبعد انتفاضة الحرمين في السعودية. لم يعد المصدر التاريخي أو القبلي أو الجهادي أو النفطي كافياً لاستقاء المشروعيّة السياسية للدولة في منطقة كانت متفجّرة على الدوام. وفي الزمن الناصري كانت مشروعيّة النظام السعودي في الحضيض ولم يكن بمستطاع الحكم آنذاك إلا أن يستثمر في الصحافة اللبنانية الفاعلة، خصوصاً في صحيفتي «النهار» و«الحياة»، من أجل صدّ المد القومي الناصري الذي سلب عقول الملايين من العرب (كان ذلك يوم انشقّ أمراء من آل سعود للالتحاق بالمشروع الناصري—لم يرد الأمير طلال بن عبد العزيز أن نذكّره بانشقاقه). وتصنّع الاهتمام بقضية فلسطين كان جزءاً من المشروعية السياسية الدينيّة للنظام السعودي. وكان الملك فيصل يختصر موضوع القضية الفلسطينية بقدرته على الصلاة في القدس كان الصلاة بحدّ ذاتها تكفي لتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني. وأنور السادات صلّى في القدس ولم يحقّق ذلك أي نصر أو فوز للشعب الفلسطيني لا بل كان ذلك من الأسباب المدمّرة لإطلاق يد إسرائيل في لبنان وفي فلسطين لتمعن فيهما خراباً ودماراً.

في عهد رونالد ريغن لم تعد الإدارة الأميركية تقبل حتى بالخطب العربيّة الرنانة عن الجهاد وعن تحقيق النصر في فلسطين. على العكس، بدأت الإدارة الأميركية منذ عهد ريتشارد نيكسون بالضغط على حكومة السعودية للضغط على حركة «فتح» (المرتهنة

> **ليست المصالحة مع إيران إلا من أجل أهداف تتعلّق بالمصلحة الأمنية والسياسية لصعود محمد بن سلمان**
>
> **إسرائيل ستكون المستفيد الأكبر لأن السعودية ستضمن لها حملة دبلوماسية عالمية لتحسين صورتها ولتسويغ إقامة علاقات معها مقابل لا شيء**

لها بشخص ياسر عرفات) من أجل صدّ مدّ اليسار الفلسطيني الثوري. أصبحت الولايات المتحدة، في زمن وليّ العهد فهد (والملك فهد) الذراع المعتمدة لتحقيق التنازلات العربية لإسرائيل. ونستطيع أن نقول إن صعود الملك فهد تزامن مع تقديم تنازلات عربية هائلة من قبل الجامعة العربية مجتمعة. بدأ ذلك بمشروع فهد في عام 1981. وتبلور ذلك في المشروع السعودي للسلام الذي احتاج من أجل تمريره في الجامعة العربية إلى رشوة دول عربية ومنظمة التحرير (لا يزال الرئيس المقاوم إميل لحّود يمتلك أسرار تلك القمّة المشينة التي تواطأ فيها أركان في النظامين اللبناني والسوري ومنظمة التحرير). القضاء على منظمة التحرير في صيف 1982 فتح الطريق أمام السعودية ليوزاكو مبادرة السلام الساداتية. ومن المعلوم أن السعودية لم تقطع علاقاتها مع السادات حتى بعد زيارته للقدس، وكانت تومئ له بالموافقة سرّاً. لكن الاجتياح العراقي للكويت بل على تاريخ طويل لها من القبول بنقد لأنظمة الخليج وسياساتها الممالئة لأميركا.

طبعاً، لم تكن حكومات الخليج معنيّة، أو تعتبر نفسها معنية بالقضية الفلسطينية. القضية الفلسطينية كانت بالنسبة إلى الحكام العرب عبئاً عليهم لأنها كانت تعني الكثير للشعوب العربية منذ ما قبل النكبة. كان الشعب العربي بجماهيره يضغط على الحكومات كافة من أجل حثّها على تقديم الدعم للشعب الفلسطيني في نضاله. هم الذين كانوا وراء قرارات شكليّة من قبل الحكومات العربية للمشاركة عبر جيوش مترهّلة في حرب فلسطين. وفي الخفاء، كانت كل الأنظمة العربية تتآمر ضد الشعب فلسطيني. والثورة المصرية والانقلاب على النظام الملكي كانا ينبعان، في ذهن عبد الناصر ورفاقه، من التقصير الهائل الذي حكم أداء الجيش المصري في حرب فلسطين. كان الهمّ الفلسطيني ضاغطاً في أذهان الثوار الأحرار، طبعاً هذا لا يسري على شخص أنور السادات (الذي كان في صالة سينما يوم إطلاق الثورة) الذي تكيّف مع كل مرحلة يتبع فيها جمال عبد الناصر ويوافق على كل ما يقول وعلى كل ما يفعل إلى أن أتت الفرصة كي يعبّر عن مكنوناته الحقيقية في انتهاج سياسات معاكسة لسياسات جمال عبد الناصر. الحكومات الخليجية كانت بعيدة عن مسرح الصراع، وباستثناء صور لأمراء من آل سعود وهم يتدرّبون تهريجيًا على السلاح، فلم يكن هناك إلا مساهمات فردية في دعم الشعب الفلسطيني، وإذا قامت حكومة ما بدعم ما فإنها فعلت ذلك من أجل مشروعيّته السياسية. إن القضية الفلسطينية، والتظاهر بدعمها، شكّلا عنصراً أساسياً في تشكيل المشروعية السياسية لكل الأنظمة العربية. ولهذا كانت تلك الأنظمة تتنافس في ما بينها في إظهار او اصطناع الدعم لشعب فلسطين في معاركه وفي محنته. والنظام السعودي لم يبع أرض فلسطين، كما يروّج الكثير من العرب على مواقع التواصل ويستندون في ذلك إلى وثيقة مزوّرة باع فيها الملك عبد العزيز فلسطين للصهاينة. لم تكن ملكاً له كي يبيعها. وهناك دليل على أنه تم بحث القضيّة الفلسطينيّة في اللقاء الشهير للملك عبد العزيز وفرانكلن روزفلت. كان الموضوع ذا بعد ديني عند الملك عبد العزيز، وعند غيره من الحكام العرب آنذاك، ولكن الولاء للمستعمر البريطاني، ثم الأميركي، تفوّق على الاهتمام بقضية فلسطين. والأهم من ذلك أن تلك الحكومات الخليجية كانت في صفّ الخندق الصهيوني على الصعيد العالمي. وهي أقامت خندقاً مضاداً للمعسكر الذي أقامه جمال عبد الناصر ورفاقه من أجل الترويج للوحدة العربية والحرص على فلسطين. حزب البعث في عقيدته ولّى القضية الفلسطينية اهتماماً لكنه ربطها أو ذيّلها لأولوية الحفاظ على النظام والقضاء على الخصوم وضرب المنافسين البعثيّين والمزايدة على جمال عبد الناصر في كل شيء.

لماذا هذا التركيز من جو بايدن على موضوع التطبيع مع السعودية؟ والكونغرس الأميركي يعتبر هذا الموضوع هدفاً يوحّد بين الخصوم الديموقراطيين والجمهوريّين. وقد سنّ مشروعاً لتعيين سفير خاص يُعنى بما يسمى «اتفاقيات إبراهيم». دشّنت الحكومة الأميركية في أوائل السبعينيات ما بتنا نسمّيه بـ«مسيرة السلام»، وهي توقّفت. وفي كل هذه السنوات لم يكن تحقيق السلام لشعب فلسطين ذا أهمية. اليوم تنشّطت كل أجهزة وإدارات الدولة الأميركية لنشر التطبيع الإماراتي الإسرائيلي الذي بات مثالاً يجب أن يُحتذى، وإن بالقوّة. جو بايدن هو الرئيس الأميركي الوحيد الذي عرّف عن نفسه بأنه صهيوني. لم يقلها رئيس من قبل. هو خدع شباب الحزب الديموقراطي الليبرالي في حملته الانتخابية عندما تصنّع الحرص على حقوق الإنسان في العالم وعندما خفّض من منسوب خطابه الشديد الصهيونية تقليدياً. ولا نزال نذكر أنه وصف محمد بن سلمان بتوصيفات شنيعة ووعد بأن يعامل السعودية كدولة مارقة. كل هذا كان كذبة من أجل أن يحصل على دعم الليبراليين في الحزب الديموقراطي الذين باتوا أكثر مناصرة لشعب فلسطين من إسرائيل. وجو بايدن يفتقر، كما

(أ ف ب)

أوباما وكما كلينتون من قبل، إلى الودّ والنيّة على التعاون من قبل الحزب الجمهوري المتعنّت. لكن بايدن يعلم أن طرح أي مشروع يخدم إسرائيل سينال تلقائياً التأييد والحماس من كل عناصر الحزب الجمهوري ومن قياداته في الكونغرس الأميركي. الحماس الأميركي على تحقيق السلام بين طغاة العرب وإسرائيل مبني على وهم مفاده أن مجرّد توقيع اتفاقيات سلام سينهي الصراع العربي الإسرائيلي. ما تفعله إدارة أوباما هو ما كان يتنتياهو يطالب به لسنوات طويلة، بأن القضية الفلسطينية ستنتهي من تلقاء نفسها بمجرّد أن يوقّع حكام العرب على اتفاقيات سلام مع إسرائيل، وأن السلام بين السعودية وإسرائيل من الأهمية بمكان أنه سينسّر فكرة السلام وقبول إسرائيل في كل العالم العربي والإسلامي وهذه الفكرة تفتقر إلى المعرفة بالثقافة العربية السياسية والإسلامية كما تفتقر أيضاً إلى دراية بمزاج وأهواء الرأي العام العربي والإسلامي الذي لا يزال يعتبر القضية الفلسطينية قضيّة القضايا. وإعلان التحالف بين دولة الإمارات وإسرائيل لم يؤثر بتاتاً على قبول إسرائيل بين العرب. على العكس من ذلك، فإنه أثار الكثير من الاعتراض والامتعاض في أوساط العرب الأحرار لأن معظم العرب، خصوصاً هي تريد أن تتعامل أميركا مع السعودية كما تتعامل مع أعضاء حلف شمال الأطلسي، أي أن تعتبر أن أي اعتداء على أراضي المملكة هو اعتداء على الولايات المتحدة الأميركية. وهذا سيترتّب عليه التزامات ونشر قوات ودعم وسيورّط الحكومة الأميركية في صراعات السعودية على مدى عقود طويلة. كما أن ذلك سيفرض على الحكومة الأميركية تقديم مساعدات عسكرية طبعاً (مقابل وفير من المال) بمستوى لم تقدّمه من قبل لدول عربيّة. كما أن السعودية، مثل الإمارات، تعتبر أن تحقيق السلام مع إسرائيل يجب أن يؤدي إلى رفع مستوى السلاح الذي تحصل عليه السعودية من أميركا. ومن المعروف أن أميركا تتقصّد بأن تعطي لإسرائيل من السلاح المتطوّر ما تحرمه على الدول العربية لالتزامها بوعد ضمان تفوّق إسرائيل العسكري على كل الدول العربية مجتمعة. كما أن السعودية ستطلب حماية رسمية واعترافاً ورعاية لتنصيب محمد بن سلمان ملكاً مدى الحياة. وهذه الشروط ستورّط الحكومة الأميركية على مدى عقود طويلة في دفع أثمان جرائم ومغامرات السعودية في المنطقة، كما أنها ستجعل من أميركا مسؤولة عن كل ارتكابات حقوق الإنسان في داخل المملكة، وستحرمها من فرصة إصدار بيان، مرّة كل سنتين، عن اهتمامها العميق بحقوق الإنسان في المملكة. وستصبح أميركا عاجزة عن الاستمرار في نفاق الحرص على حقوق الإنسان في السعودية وفي العالم العربي. وتطالب السعودية أيضاً بدعم أميركا لإنشاء برنامج طاقة نووية خاص بالسعودية.

طبعاً، السعودية تستطيع أن تقدّم مقابل التطبيع ما يلائم المصلحة الإسرائيلية الكبرى في الاعتبار الأميركي. هي ستضطر إلى جعل مستوى التطبيع كما هو عليه في الإمارات، أي التحالف التام بين المملكة وإسرائيل. كما أنها ستلتزم بالضغط على كل الحكومات العربية والإسلامية لجرّها إلى عقد اتفاقيات سلام مع إسرائيل ولطي الخطاب الإسلامي والعربي التقليدي عن دعم قضية شعب فلسطين. كما أن السعودية ستلتزم بطي مشروع السلام السعودي واعتباره من مخلّفات التاريخ السحيق. ويقول رجل أعمال لبناني خبير بالسعودية (التي عاش فيها وعمل لسنوات ويعرف شأن أمرائها) إن التصالح المفاجئ مع إيران لم يكن إلا مقدّمة لتحقيق التطبيع مع إسرائيل. لأن التصالح مع إيران سيمنع الحكومة الإيرانية من شنّ حملة ضد التطبيع السعودي خصوصاً من المنظور الإسلامي الذي يعني للدعاية السياسية السعودية الكثير (حتى في زمن ابن سلمان). وهذا ما حدث تماماً في حالة الإمارات التي تصالحت مع النظام السوري وأدّى ذلك إلى منع أي اعتراض سوري على التحالف الصفيق بين حكام الإمارات وإسرائيل. ليست المصالحة مع إيران إلا من أجل أهداف تتعلّق بالمصلحة الأمنية والسياسية لصعود محمد بن سلمان. محمد بن سلمان في كل ما يفعله هذه الأيام يمهّد طريقه للعرش ويريدُ لحكمه أن يستمر لعقود طويلة وبضمانات أميركية وإقليمية. والذي يتابع الصحافة السعوديّة بعد تحقيق هذه المصالحة يدرك كم أنها لم تغيّر قيد أنملة من الفرضيّات والعقائد السعودية ضد إيران. وحدها إيران تأخذ هذه المصالحة على محمل الجدّ وهي طبعاً تريد تبريد الأجواء من أجل تخفيف العقوبات عليها، كما أن السعودية تريد تبريد الأجواء من أجل وقف الحرب المذلّة لها في اليمن.

لكن هذه المقايضة التجارية بين أميركا والسعودية ذات فوائد محدودة للغاية للطرفيْن. إسرائيل ستكون المستفيد الأكبر لأن السعودية ستضمن لها حملة دبلوماسية عالمية لتحسين صورتها ولتسويغ إقامة علاقات معها مقابل لا شيء بالنسبة إلى الملف الفلسطيني. إنّ هذا الحماس الأميركي لتطبيع إسرائيل مع السعودية يهدف إلى القضاء التام على المطالب الوطنيّة الفلسطينية. سيتضمن الاتفاق بين إسرائيل والسعودية وعوداً عامة مبهمة عن الشعب الفلسطيني من دون تقديم أي تنازل، لا في القدس ولا في الدولة الفلسطينية ولا في حق العودة ولا في أمن الشعب الفلسطيني. على العكس، فإن الاتفاق سيترافق مع إعلان عام من الطرفين عن دولة فلسطينية تتحقق في ظل الاحتلال الإسرائيلي ومن ضمن تقطيع أوصال الضفة والغزة ومن ضمن سيطرة إسرائيل على الأرض والجو وثروات الضفة والقطاع.

والتطبيع بين إسرائيل والسعودية جار منذ عام 2000، والأمير بندر هو الذي دشّن هذه العلاقة. طبعاً كانت هناك اتصالات وعلاقات وتنسيق بين إسرائيل والحكم السعودي منذ الستينيّات، خصوصاً في التعاون في حرب اليمن ضد عبد الناصر والمشروع القومي العربي. وفي تقرير جديد لمنظمة «إمباكت» التي تُرصد من لندن ما يُسمّى بنزعات التسامح في المناهج الدراسية في السعودية لاحظوا أن السعودية، من دون أي إعلان ومجاهرة، باشرت بتعديل المناهج الدراسيّة وقلبها رأساً على عقب، كما فعلت كل الأنظمة الخليجية من أجل إرضاء اللوبي الإسرائيلي (قطر أوكلت إلى مؤسّسة «رائد» تعديل مناهجها). كل الإشارات السلبيّة إلى اليهودية والمسيحية والمسيحيين واليهود أزيلت وهذا جانب حسنٌ لأن المنهج الدراسي السعودي كان مليئاً بإشارات الكراهية ضد الأديان والمذاهب الأخرى. طبعاً، الإشارات ضد الشيعة وأقليات أخرى لا تزعج أحداً في الغرب ولا تزعج ضمائر هؤلاء الذين يرصدون المناهج: ما يعنيهم هو تهيئة مناخ ملائم للتطبيع مع إسرائيل. وفي الموضوع الفلسطيني تمّ تعديل الكثير من الإشارات، فقد أزيل تعبير «العدو الإسرائيلي» أو «العدو الصهيوني» وتم استبدال هذه المصطلحات بتعبير «الاحتلال الإسرائيلي» أو «جيش الاحتلال الإسرائيلي». وفي المنهج الجديد، في درس عن الشعر الوطني، تمت إزالة مثال عن معارضة الاستيطان اليهودي في فلسطين. وفي منهج دراسة المرحلة الثانوية تمت إزالة الإشارة إلى الانتفاضة الفلسطينية في الثمانينيّات. وفي كتاب مدرسي آخر تمّت إزالة فصل كامل عن القضية الفلسطينية. المنظمة الغربية قالت إن هذه إشارات إيجابية، تعني أن هناك تقدّماً في المواقف من إسرائيل والصهيونية.

محمد بن سلمان سيصعد إلى العرش. لن يقف في طريقه شيء. الأثمان لا تعني له شيئاً ودول الغرب تريد أن تستولي على المال النفطي من دون وازع. لن تقف في طريقه معارضة أو دول أو مبادئ. دول الغرب الديموقراطية المعنى ستفرش دربه بالورود والرياحين، وستتولّى إسرائيل ترتيب حفل التنصيب.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

خلك وتجاهله وعِبر

سعد الله مزرعاني *

كشفت نتائج جلسة 14 حزيران الجاري، وهي المحاولة الرقم 12 لانتخاب رئيس للجمهورية، مجموعة حقائق واستنتاجات، وربما، أيضاً، مهمات لمن ينبغي أن يعتبر ويستفيد ويتدارك.

أولاً، بات من الأكيد أن أحداً لا يستطيع، من خلال التوازن الحالي، الذي أفرزته نتائج الانتخابات النيابية في أيار من العام الماضي، حسم مسألة انتخاب الرئيس بقواه الذاتية أو، حتى، باستقوائه بخارج ما، قريب أو بعيد.

ثانياً، تأكّد أن القوى السياسية ذات المرجعيات الخارجية، تتصرف في علاقاتها مع تلك المرجعيات وفق قاعدة «ملكي أكثر من الملك»، هامش الاستقلالية عند بعضها محدود جداً. أما عند الأكثرية، فهو معدوم تماماً! ففيما تشهد المناخات الإقليمية انفراجات واسعة، ويتراجع، نسبياً، تدخل واشنطن (وهي كانت الأكثر تدخلاً ونفوذاً وتخطيطاً)، فإن الانقسام والتأزم الداخليين ما زالا في ذروتهما. يحول ذلك دون اتخاذ مبادرات محلية، تساهم، ولو قليلاً، في احتواء الأزمة تمهيداً لبلورة تسويات بمساعدة الخارج عندما يصبح ذلك ممكناً!

ثالثاً، تقود الانتصارية المستشرية لدى أطراف عديدة متنافسة، لرفع المعنويات، أو لذر الأوهام، ليس فقط إلى ادعاء تحقيق انتصارات، بل أيضاً إلى عقد رهانات خادعة. لا شك أن المصالحات والمتغيرات الإقليمية التي حدثت أخيراً، قد أدخلت، وستدخل المزيد من العناصر الجديدة على توازنات المشهد السياسي في لبنان والمنطقة. انعكاساتها العامة ذات طابع إيجابي بالتأكيد. لكنها ليست واحدة بالنسبة إلى أطراف الصراع: طرفٌ تحرّر من بعض الضغط، وآخر خسر بعض الدعم من حيث الواقع والمنطق. علامات ذلك ماثلة بوضوح في الواقع السياسي اللبناني... يساهم ذلك، أيضاً، في استمرار المراوحة والتعقيد.

رابعاً، إن توازن القوى برلمانياً، لا يقود، تلقائياً، إلى توازن مشابه، على الصعيد الإعلامي والدعائي... ففريق «الممانعة» لا يزال في موقع دفاعي تحت تأثير الحملة الهجومية التي سُعِّرت ضده في الإعلام خصوصاً. كذلك تحت تأثير حضوره الأكبر في السلطة (أي في المسؤولية عن الأزمة)، ولو خرج من صفوفه «التيار الوطني الحر»، أو بسبب هذا الخروج الذي حصل في ذروة الهجوم على حليفه من قبل خصوم داخليين وأعداء خارجيين. لقد رهن التيار العوني مصير تفاهم «مار مخايل» (شباط 2006) بشرط استمرار «حزب الله» بدعمه الدائم في معركة الرئاسة الأولى. تمثّل الطابع الهجومي المشار إليه، في الدور المتزايد الذي لعبته «القوات اللبنانية» و«الكتائب» في تحديد هدف الانتخاب وهو إسقاط «مرشح حزب الله» تمهيداً لنزع سلاحه. وهو الهدف نفسه الذي حددته واشنطن (ويسعى من أجله، بكل الوسائل، العدو الإسرائيلي) كسبب للأزمة اللبنانية ولمعالجتها المزعومة!

خامساً، «حماية ظهر المقاومة» كما حدّد «حزب الله»، وعبر مرشح حليف، سيحمي أيضاً ظهر الثنائي «أمل» و«حزب الله»، وحلفائهما، أي فريق وازن في السلطة، (خصوصاً الرئيس نبيه بري منذ «الطائف» حتى اليوم). سيقود ذلك إلى استبعاد المحاسبة ومعها أي انعطاف جدي في مسار الأزمة العامة وما تفرضه في شقها الاقتصادي خصوصاً، من مقاربات وتغييرات انعطافية وعلاقات في الداخل (بوقف النهب واللصوصية والتحاصص الطائفي... وفي الخارج، بإقامة علاقات وتوجهات جديدة ممنوعة حتى الآن).

سادساً، من جهتها، قوى المعارضة التي كانت في السلطة وفي صلب المحاصصة، وكذلك من دَخَل المجلس بفعل الانتفاضة وبذريعة التغيير، «تقاطعت» على دعم مرشح «صندوق النقد الدولي» وابنه المطيع والبار الذي لم يسلّف بلده أي موقف وأي قرش، من موقعه مسؤولاً عن الشرق الأوسط وأفريقيا (في الصندوق)، وثمناً أو دعماً لوصوله إلى سدة الرئاسة! الصندوق نفسه كشّف عن أنيابه مشاركاً في الحصار على لبنان وفي تغذية أزمته، متواقحاً ومتسائلاً، أخيراً، عن الـ«جدوى السياسية» لأي دعم أو قرض للبنان! هذا فضلاً عن شروط العقوبة المعروفة والموجّهة ضد مبدأ «دولة الرعاية الاجتماعية». لقد كان صوت «القوات» ضد «السلاح» هو الأعلى بين «المتقاطعين»، وهو صوت يستحضر حقبة علاقة خطيرة سابقة مع العدو الصهيوني، ويكرر استعداداً لمغامرة جديدة (على حساب وحدة لبنان، وربما وجوده) في كنف المشروع الأميركي الصهيوني في لبنان والمنطقة.

سابعاً، طرفا الصراع، تبنيا «عفوياً» أولوية واحدة، ولو بشكل متعاكس: الدفاع عن المقاومة أو الهجوم عليها. من مفاعيل ذلك تجاهل تام (ضمني أو علني ومريب)، للأزمة الاقتصادية. ذلك يعني دفع هذه الأزمة إلى مزيد من الاستعصاء والأذى والكوارث، وإلى مزيد من الاستغلال رغم ما قد يحصل من تسويات مبتورة وبسببها.

ثامناً، إذا كان الطرف المتبني للنهج الأميركي قادراً على تقديم وعود ملغّمة بثمن السعي لإدارة فتنة مدمّرة وبالغة الخطورة ضد المقاومة في حال نجح المرشح الأميركي، فإن أقصى ما قد يراهن عليه الفريق الآخر، من خلال تركيبته وتحالفاته، سيراوح، ووفق التجربة الماضية، هو الحصول، كما في السابق، على بضعة مليارات إلى البلد، ما يتيح امتصاص جزء من الأزمة وتلبية جشع الفاسدين واللصوص المتربصين. الواقع أن بعض ما حصل من تبدلات، في المواقف والتوازنات، لم يلغ الصراع، بل أدخله في مسار آخر كما تشير دعوات الفدرلة والتقسيم والفتن. كذلك على المستوى الخارجي، يؤشر الموقف الأميركي والأوروبي، إلى استمرار مشروع التفتيت في المنطقة، أداة للإنهاك وسبيلاً للهيمنة. لقد تعامل الاتحاد الأوروبي، مثلاً، ببوقاحة غير مسبوقة مع وفد الجامعة العربية بسبب عودة سوريا إليها وهو يسعى بفجور إلى استخدام النازحين السوريين أداة مشروع مشبوه: لا جدال في ذلك! الطرف المعني هنا بالحوار والسجال، أكثر من سواه، هو طرف «الممانعة». إنه يطرح في لبنان أولوية صحيحة وضرورية (حماية المقاومة). لكنها غير كافية أو غير وحيدة. الوضع الاقتصادي أصبح أولوية هو الآخر. لطالما شكا مشروع «الممانعة»، في صيغه القديمة والجديدة، في لبنان والمنطقة، من فجوات وليس فقط من مجرد ثغرات: في الحقول الاقتصادية، وفي مسائل تداول السلطة أو المحافظة عليها بغير الوسائل الديمقراطية: الوراثة، العسكرة، القمع، العصبيات...وهو بذلك قد وفّر فرصاً ثمينة للاستغلال والضغوط الخارجية. ثمّ لتبرير التنازلات أو التهاون والوهن في الدفاع عن الثوابت والمصالح الوطنية والقومية التحررية. ذلك يملي أن تتجذّر المواجهة بالبعد الاقتصادي عبر مشروع تحرري أشمل: لتحرير الأوطان واستعادة الحقوق والسيادة والأرض من جهة، وللتخلص من التبعية والعلاقات التي فرضتها أو نجمت عنها، من جهة ثانية.

* كاتب وسياسي لبناني

سوريا

الجولاني يصعّد ميدانياً... والفصائل تنتظر كلمة السر

أنقرة - دمشق: انطلاق أولى خطوات فتح الطرق

لم تتلقَّ الفصائل التابعة لتركيا حتى الآن أي توضيحات حول مضمون «خريطة الطريق» الروسية للتطبيع بين دمشق وأنقرة، والتي اعلنت موسكو وطهران عن توافق سوري ـ تركي عليها على هامش اللقاء العشرين لمسار «أستانا»، قبل يومين. وتزامن هذا الإعلان مع حشد الجيش السوري مزيداً من القطع العسكرية على محاور عدة في محيط حلب، الأمر الذي قوبل بتصعيد عسكري لـ«هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة) طاول مواقع كانت هادئة نسبياً في ريفي اللاذقية وحماة، ما وضع منطقة «خفض التصعيد» على محكّ اختبار حقيقي لأولى خطوات طريف التطبيع الطويلة

علاء حلبي

بينما أكّدت كل من موسكو وطهران توصّل دمشق وأنقرة إلى توافق مبدئي على خريطة الطريق الروسية لفتح الأبواب المغلقة بين الجارتين، التي تتضمن خطوطاً توافقية عديدة، على رأسها مسألتا «محاربة الإرهاب» و«عودة اللاجئين»، بالإضافة إلى رفض الوجود الأميركي في سوريا، بدأت «هيئة تحرير الشام» محاولة إشعال منطقة «خفض التصعيد»، عبر شنّ هجمات صاروخية وعن طريق المسيرات، طاولت ريفي حماة واللاذقية، وأدّت وفق الإحصاءات المبدئية إلى مقتل مواطن وإصابة عدد آخر، جميعهم مدنيون. ومن جانبه، ردّ الجيش السوري على مواقع إطلاق القذائف، بحسب مصادر ميدانية تحدثت إلى «الأخبار»، مشيرة إلى أنه أسقط إحدى المسيرات، في وقت شنّت فيه طائرات روسية غارات عديدة على مواقع في محيط طريق حلب - اللاذقية (M4)، بالإضافة إلى استهداف مخازن أسلحة وخطوط إمداد خلفية جميعها تقع تحت سيطرة «الهيئة» في ريف إدلب. وجاء التصعيد الميداني الجديد، والذي يمكن اعتباره استكمالاً لمحاولات سابقة قادتها «الهيئة» لتصدّر المشهد الميداني، عن طريق شنّ هجمات مباغتة على مواقع للجيش السوري، مختلفاً نوعاً ما، إذ هاجم الفصيل، الذي يحاول قضم مناطق في ريف حلب لتكون بديلاً من إدلب التي ينتظر أن تشهد عملية سياسية وعسكرية طويلة، مواقع مدنية بعيدة نسبياً عن خطوط التماس. ومن هنا، رأت المصادر أن التصعيد يأتي في إطار «محاولات استعراضية للاستهلاك الإعلامي» من قبل «الهيئة»، في ظل عجزها عن شن أي هجمات حقيقية نتيجة انتشار الجيش السوري، بينما كان متوقعاً حدوث مثل هذا التصعيد، مع اقتراب حل مسالة الطرق الدولية، بما فيها طريق حلب - اللاذقية.

بدأت «الإدارة الذاتية» تلتمس اقتراب الخطر في سياق التوافق بين دمشق وأنقرة

إلى ذلك، تعيش الفصائل المنتشرة في ريف حلب الشمالي حالة شك متزايدة، في ظل عدم تلقيها أيّ توضيحات حول مضمون خريطة الطريق التي يجري الحديث عنها، والخطوات التي قد تشملها هذه الخريطة، في ظل إصرار الحكومة السورية على أن يكون الانسحاب التركي من سوريا هو النتيجة الحتمية لهذا المسار. وفي السياق، قال مصدر سوري معارض، في حديث إلى «الأخبار»، إن الفصائل المنتشرة قرب منبج وتل رفعت راقبت على مدار الأيام الماضية وصول تعزيزات للجيش السوري، وعندما استفسرت عن الموقف المطلوب اتخاذه لم تتلقَّ أي تعليمات تركية جديدة، حيث اقتصرت التعليمات على ضرورة ضبط الأمن الداخلي في مناطق انتشار الفصائل، ومنع أي محاولات لزعزعة الاستقرار. وفي ضوء ذلك، تراقب الفصائل المنتشرة في ريف حلب عمليات التصعيد المتواصلة من «هيئة تحرير الشام» لتتعرف أكثر إلى الموقف التركي، في حين تُعتبر «الهيئة» إحدى أبرز الفصائل التي تعتمد عليها تركيا في المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة. ومن بين السيناريوات التي تنظر فيها الفصائل، يبرز احتمال تخلّي أنقرة عن «حليفتها»، ما يعني ضمنياً الاعتماد على الفصائل على حساب «الهيئة»، أو إنهاء الحالة الفصائلية أيضاً عن طريق قضم المناطق تباعاً، وفق جدول زمني محدد. وبينما تسود حالة الصراع حول النفوذ، يأتي الإعلان عن استكمال العملية السياسية ضمن المسار الأممي (اللجنة الدستورية)، والتي يتوقع أن تعاود اشتغالها خلال الشهرين المقبلين بعد الاتفاق على المدينة الجديدة التي ستستضيف أعمال اللجنة بدلاً من جنيف، لتعيد التذكير بحالة الانفصال شبه التام بين تلك الفصائل والواجهة السياسية للمعارضة المنخرطة في المسار السياسي، الأمر الذي يزيد من تعقيدات الموقف.

وبالرغم من إعلان موسكو وطهران التوصل إلى اتفاقات مبدئية على خريطة الطريق، يكشف الصمت التركي والسوري عن وجود تفاصيل عديدة لا تزال خلافية. وفي حين يجري العمل على حل ملفات عدة، من بينها أولويات العمل الميداني، وتحديد الفصائل «الإرهابية» بدقة، بالإضافة إلى مسألة التعافي المبكر وعودة اللاجئين، كانت أنقرة خطت فعلاً نحو النقطة الأخيرة، عن طريق إعادة فتح معبر الترنبة وإدخال دفعة جديدة من المساعدات الإنسانية عبر الحدود (عن طريق دمشق). وهذا من شأنه أن يمهّد لفتح المعبر بشكل دائم، ضمن تسهيلات متوقّعة لفتح الطرق أمام العائلات التي تود العودة إلى منازلها في مناطق سيطرة الحكومة السورية، وهو إجراء تقول مصادر سورية إن «هيئة تحرير الشام تحاول منع حدوثه خوفاً من خسارتها النازحين الذين تعتمد عليهم في تحصين بقائها، وضمان استمرار تدفق المساعدات التي تتحكّم بها».

> **يكشف الصمت التركي والسوري عن وجود تفاصيل عديدة لا تزال خلافية**

تقرير

إسرائيل في الضفة: الاستعراض خياراً... في انتظار «الفرج»

يحيى دبوق

لا تزال الضفة الغربية المحتلّة حاضرة بقوّة على طاولة القرار في تل أبيب، كمعضلة يتعثّر اتخاذ قرار في شأنها. وفيما تتعالى أصوات المستوطنين وزعمائهم المطالبة بشنّ عملية واسعة في الضفة، على غرار «السور الواقي»، إلّا أن خياراً كهذا، وفضلاً عن كلفته العالية، فهو يصطدم بظروف

> **بيني اليمين المتطرّف وزعماء الاستيطان، الذين يطالبون بشنّ العملية، موقفهم وفقاً لرؤيتهم الخاصّة**

غير مؤاتية على وقع تزايد التهديدات من خارج الساحات الفلسطينية. وفي هذا الجانب، يمكن التوقّف عند الآتي:

أولاً: لا بدّ من الفصل بين الدعوات إلى شنّ عملية عسكرية واسعة النطاق في الضفة الغربية - والمقصود الدخول إلى المدن والمخيّمات والبلدات الفلسطينية والبحث عن أشخاص ووسائل قتالية -، وبين التنفيذ الفعلي لهذا عملية؛ وهناك مفارقات يمكن إيرادها في هذا الإطار: الأولى، ردّة الفعل الغرائزية للمستوطنين وزعماء اليمين المتطرّف والفاشيين، ممّن يخلطون بين القدرة الفعلية التي تتحدّد انطلاقاً من معادلة الثمن والجدوى والتداعيات، والتفكير «الرغبوي» القائم على الأمنيات والرؤية المغلوطة لحدود القوّة واستخداماتها.

ثانياً: الجهتان المتحكّمتان فعلياً بقرار العملية العسكرية، هما المؤسّستان العسكرية والأمنية، اللتان تتّخذان القرار بالاستناد إلى الرأي المهني المبني على معادلات القوّة وتفعيلها، التي تلحظ تكلفة «اجتياح» الضفة، بما يشمل التداعيات في الضفة نفسها والساحات الفلسطينية الأخرى، وفي ساحات المواجهة شمالاً وشرقاً. وفي المقابل، يبني اليمين المتطرّف وزعماء الاستيطان، الذين يطالبون بشنّ العملية، موقفهم وفقاً لرؤيتهم الخاصّة، إلّا أن الأثمان، مهما علت، تبقى دون الفائدة التي يتوخّونها، والمتمثّلة في إركاع الفلسطينيين وتدجينهم وإنهاء مقاومتهم، بما يتيح للاستيطان المضيّ قدماً بلا عوائق، من أجل ضمّ الضفة الغربية إلى إسرائيل والقضاء مسبقاً على أيّ آمال لاحقة في إطلاق عملية سياسية أو إنشاء كيان سياسي فلسطيني.

ثالثاً: توضّح المعطيات المُشار إليها آنفاً، أن أجندة كراهية الفلسطينيين واستعراض هذه الكراهية بأفعال متطرّفة - كما هو حال رئيس حزب «القوة اليهودية»، وزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير -، لا تكفي للتخطيط لعملية واسعة النطاق في الضفة والتنفيذ، اللذين يحتاجان إلى رؤية مبنيّة على معادلات مادية. رابعاً: كما كان متوقّعاً، امتنع الجيش الإسرائيلي عن تنفيذ عملية واسعة النطاق في الضفة، على غرار عملية «السور الواقي 2». وبدلاً من ذلك، لجأ إلى خيارات استعراضية توحي بوجود تطوّر في مواجهة الفلسطينيين، من شأنه أن يؤثّر إيجاباً في وعي المستوطنين ويهدّئ من حدّة مطالبهم المتطرّفة، وهو استئناف الاغتيالات عبر سلاح الجو في الضفة الغربية، الأمر الذي لم يقدم عليه منذ عقدين. وتزامن ذلك مع العمل على التضخيم والمبالغة في وصف عمليات الاغتيال من الجو التي استهدفت مقاومين فلسطينيين، على وقع «تطبيل» عسكري وسياسي احتلّ العناوين الرئيسة في الإعلام العبري، مصحوباً بعبارات موجّهة في المواقف والتصريحات، توحي وكأن الجيش الإسرائيلي استخدم «سلاحاً نووياً» في الضفة.

خامساً: حتى الأمس القريب، استبعاض الاحتلال عن الإغارة بسلاح الجو في الضفة المحتلّة، بعمليات تنفذها القوات البرية. ويوحي قرار الامتناع عن الاستهداف جواً، بأن الأمن وطرق معالجة التصعيد في الضفة كل ذلك «مقدورٌ عليه»، من دون اللجوء إلى قوة تشير إلى فقدان السيطرة، وفي هذا السياق، تبرز العملية التي نفّذتها طائرات إسرائيلية في جنين، ما يشير فعلياً إلى فقدان السيطرة.

سادساً: بدا الأفتا، إعلامياً، تدخّل عدد من المعلّقين والخبراء في تل أبيب، ممّن يُعدّون مختصّين في الشؤون الأمنية والعسكرية والاستراتيجية، للمطالبة، تعليقاً على الدعوات إلى تنفيذ عملية واسعة، بعدم الانشغال بتصعيد مع الجانب الفلسطيني في الضفة الغربية، وتركيز الجهود على مواجهة تهديدات قائمة وأخرى تتشكّل خارج الساحات الفلسطينية، بما يشمل التهديد النووي الإيراني الداهم، وكذلك تهديد «حزب الله» المتعاظم في لبنان، وغيرهما. لكن هل يمكن إسرائيل أن تتجاهل التهديد الذي تشكّله الضفة؟ وهل يمكن أن توجّه مواردها وقدراتها نحو الخارج، وهي تعاني من تهديدات وازنة نسبياً في «الداخل»؟ سابعاً: تبقى الإشارة إلى واحدة من أهمّ نتائج العمل المقاوم في العقد الأخير، التي تتمثّل في صدّ الاستراتيجية الإسرائيلية لمواجهة القضيّة الفلسطينية، وهي الفصل بين الساحات، بين الداخل والقدس والضفة وقطاع غزة، وجعل كلّ ساحة من هذه الساحات قضيّة خاصة بذاتها، ومختلفة عن قضية الساحة الأخرى. وبينما تغنّت إسرائيل طويلاً بأنها نجحت في فصل الساحات الفلسطينية، تُظهر النتائج أن المقاومة الفلسطينية نجحت في إسقاط هذه المعادلة، فجاءت النتيجة معكوسة: منع الفصل وتعزيز اللحمة. ووفقاً لتعبيرات عبرية، قُلبت المعادلة وباتت الساحتان ملتصقتين. وهي من النتائج التي يجب التركيز عليها.

لا بدّ من الفصل بين الدعوات إلى شنّ عملية واسعة في الضفة، وبين إمكانية تنفيذ هكذا عملية (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4342

أفقيا

1- منطقة في الجنوب تُعرف ببلاد بشارة – إسم موصول – 2- الإسم الفرنسي لقلعة طرابلس – من الحيوانات – 3- إله – نقيّ العظم – من المشروبات الغازية – 4- من الفاكهة – نوتة موسيقية – 5- إسم لألمانيا خلال الحكم النازي – 6- من الطيور – للتعريف – 7- خلاف شرقي – أمر فظيع – اغلظ أوتار العود – 8- نعم بالأجنبية – يضعف ويرقّ – صغير الكلب – 9- واسع فسيح – والد الأمير فخر الدين الثاني – 10- مدينة مصرية

عمودياً

1- مدينة سورية – 2- مدينة عراقية – مدينة فلسطينية – 3- حرف نصب – يوم متقدّ – حرف عطف – 4- سجاد إيراني معروف – أحرف متشابهة – 5- عائلة فيزيولوجي هولندي راحل – عكسها عامل برزانة وحلم – 6- ضجر وسئم – ينبوع بالأجنبية – عاصمة أفريقية – 7- إسم حمله خمسة ملوك جرمانيّين – مدينة إيرانية – 8- هرب – للتعريف – حوّل الماء جليداً – 9- مدينة في فلوريدا – مخترع الحروف الناتئة للعميان – 10- زوجة أمير دولة قطر السابق

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1-عبدالله – جب – 2- زنجي – قاووش – 3- لندن – لها – 4- أفة – مهد – آر – 5- لم – صنم – أنا – 6- تاه – أيسل – 7- يجافونه – با – 8- ليبيري – سوس – 9- اش – البرد – 10- دانتزيغ

عمودياً

1-عزة الميلاء – 2- بن – فم – جيش – 3- دجلة – تاب – 4- اين – صافيتا – 5- دمنهور – 6- لقنّهم – نبّات – 7- ها – أه – لزّ – 8- ول – اي – سبي – 9- جوهانسبورغ – 10- بشّار الأسد

sudoku 4342

4					2		3	
	9	1		5	6	2		7
6			4				1	5
3					8		6	9
2				9				
			6	7		4		2
			9	2		1		4
				3		6	9	
1					5			3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4341

9	1	4	7	2	6	3	8	5
5	8	3	4	1	9	6	2	7
2	6	7	3	5	8	4	9	1
3	9	6	1	8	4	5	7	2
1	4	2	5	7	3	9	6	8
8	7	5	9	6	2	1	4	3
6	3	1	2	4	7	8	5	9
4	2	9	8	3	5	7	1	6
7	5	8	6	9	1	2	3	4

مشاهير 4342

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس سوداني (1930-2009). توفي بعد صراع طويل مع المرض

5+6+7+8+4 = من الحيوانات ■ 1+2+9+7 = يُصنع من الطحين

■ 11+10+3 = من الطيور

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة العاضية: جايمس فرانكو

وفيات

إنّا لله وإنّا إليه راجعون
بتسليم بقضاء الله وقدره ننعى إليكم المأسوف عليها فقيدتنا الغالية المرحومة
الحاجة نايفه حسن أحمد (أم حسن)

أرملة المرحوم الحاج أحمد علي
أبناؤها: المُهندس حسن، عفيف، الحاج علي، موسى
بناتها: اسمهان زوجة عصام أحمد ناديا
لينا زوجة المُهندس حسن خليفة
صلي على جثمانها الطاهر ووريت الثرى أمس الجمعة الواقع فيه 23 حزيران 2023 في جبانة بلدتها حاريص.
تُقبل التعازي اليوم السبت الواقع فيه 24 حزيران 2023 في منزل المرحوم الحاج أحمد علي أحمد الكائن في حاريص - قضاء بنت جبيل.
وفي ذكرى اليوم الثالث الأحد الواقع فيه 25 حزيران 2023 سيُقام مجلس عزاء عن روحها الطاهرة عند الساعة الرابعة في حسينية البلدة للرجال والنساء.
ويوم الثلاثاء الواقع فيه 27 حزيران 2023 في بيروت فندق Eden Bay رملة البيضاء في Dhafra Ballroom Level - B2 من الساعة الثالثة بعد الظهر ولغاية السابعة مساءً.
للفقيدة الرحمة ولكم عظيم الأجر والثواب
الآسفون: آل أحمد وآل نصور وآل فقيه وآل خليفة وعموم أهالي بلدة حاريص

إعلانات رسمية

إعلان
عن القاضي العقاري في الجنوب
طلب خضر حيدر سعيد بالوكالة عن نواف عبد الحسين هرموش سند بدل عن ضائع للعقار رقم 616 مجدلزون.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

إعلان
عن القاضي العقاري في الجنوب
طلب جعفر الرز شهادة قيد بدل عن ضائع للعقار رقم 1180 مجدلزون.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
القاضي العقاري
محمد الحاج علي

البلاد

«الحرب كرّ وكرّ»
كمين جنين الذي غيّر القواعد

موسى جرادات

اعتادت قوات الاحتلال، ومنذ سنوات طويلة، على اقتحام المدن الفلسطينية، عبر استخدام قواتها الخاصة المتنكّرة بالزي المدني، لتقوم بالاعتقال أو الاغتيال، ومن ثم تستدعي قوة أخرى بمدرعات مصفّحة لإخراجهم من المكان المستهدف.

وهكذا كان المشهد في السنتين الماضيتين، إذ عملت قوات الاحتلال على استخدام التكتيكات نفسها من دون أن تتعرّض إلى خطر حقيقي يؤدي إلى وقوع خسائر بشرية في صفوفها. لكن ما حصل في مدينة جنين يوم الإثنين الماضي، كان خارج حسابات الاحتلال، فالمقاومة التي حضّرت نفسها لهذا اليوم الموعود، كانت تخبئ المفاجآت، بدأت عملية الاحتلال عند الرابعة عصراً، فجراً، وانتهت عند الرابعة عصراً، وقد اعترف الاحتلال بمشاركة مئات الجنود من 6 وحدات مختلفة، منها «غفعاتي» و«ماجلان» و«دفدوفان» و«المستعربون» و«المظليون». فكان من نتيجة هذه العملية على الاحتلال إصابة 8 جنود، أحدهم مظلي جُرح خلال محاولات إنقاذ القوات المحاصرة، فضلاً عن تضرر وعطب 7 مركبات عسكرية، كما أعلنت مصادر في الاحتلال عن إصابة مروحية أباتشي كانت تشارك في العملية.

وفي ظل ما جرى، كانت للحدث تأثيرات كبرى، سواء على صعيد المقاومة الفلسطينية، التي أثبتت جدارتها في الميدان، بأخذ زمام المبادرة في تطويق القوة المهاجمة، وإلحاق الخسائر البشرية والمادية في صفوف القوى المهاجمة، فوصف خالد جرادات (أبو إياد) ما حدث: «بكل تأكيد ما جرى هو تصعيد كبير وإعلان عن مرحلة جديدة ساخنة من الصراع، التصعيد بدأ من الاحتلال الذي اقتحم جنين ومخيمها وقتل وجرح العشرات، فكان الرد الدفاعي مفاجئاً للجميع بالقدرة على إعطاب الآليات، والرد الهجومي على المجزرة بعملية عبلي».

الصحافي والكاتب عصري فياض، من مخيم جنين، لخّص الحدث والمواجهات في المخيم يوم الإثنين الماضي بالتالي: «أولاً: الاحتلال فقد الكثير من معلوماته الأمنية عن المخيم وتشكيلاته العسكرية وتطورها. وهذا الأمر ظهر على شكل المفاجأة التي أربكته في المعركة الأخيرة. ثانياً: كلما مرّ الوقت، تطورت هذه الظاهرة، واصبحت أكثر تنظيماً، خاصة مع وجود الدافع القوي للمقاومة والتضحية، إضافة إلى قوة وبسالة المجتمع المحلي الحاضن غير الموجود بنفس الحجم في أي مكان آخر، ففي المواجهة الأخيرة مثلاً أخلى أصحاب البيوت بيوتهم الموجودة على أطراف المخيم وعلى تماس المواجهة لصالح المقاتلين طوعاً، ولم يتوقف عطاؤهم عند هذا الحد، بل إن بعضهم أحضر المهدّات والمعاول لهدم الجدران لمساعدة المقاتلين في مهامهم. ثالثاً: أصبح ألم التضحيات معتاداً، خاصة بعد النجاحات التي تحققها تكتيكات المقاومة في المخيم، وهذا يرسخ هذه الظاهرة، ويطيل في عمرها، ويجعل من المخيم ملجأ للراحلين إليه، والاستدفاء في ظل مقاومته والمشاركة معهم».

أمّا عبد السلام أحمد، الناشط السياسي من مدينة غزة، فوصف تأثيرات المشهد المقاوم في جنين على قطاع غزة بالقول: «إن مشاهدة الآليات المحترقة لقوات الاحتلال، أدّت إلى حالة فرح شديد في كل قطاع غزة، فقامت مكبرات الصوت في مساجد القطاع بالتهليل والتكبير فرحاً بالعملية. فغزة لديها ثأر كبير مع الاحتلال، ومدينة جنين لديها رمزية كبيرة لدى كل أهالي القطاع، وذاكرة غزة تحتفظ لجنين بتاريخها المقاوم من القسام مروراً بمحمود الطوالبة، وانتهاء بكتيبة جنين». لكن ما يقلق أحمد هو مشاهد الاغتيال التي حدثت لمجموعة من المقاومين في جنين عبر استخدام الطائرات، حيث تمنى أن تتجنب المقاومة في الضفة الغربية ما جرى في غزة، وأن تتعلم من تجربتها، مؤكداً أن المعركة أصبحت اليوم في الضفة، وأن الضفة قادرة على إدارة الصراع مع الاحتلال

المشهد لجهة الفلسطينيين ليس معقّداً، فالمقاومة المسلحة، في مختلف تشكيلاتها وعناوينها، وطرق عملها، اضحت اليوم ظاهرة للعيان

وفق المعطيات الموجودة على الأرض اليوم.

جرادات، بدوره، اعتبر أنّ «الاحتلال استغل ردة الفعل لرفع سقف التصعيد بإدخال سلاح الجو في الاغتيالات، وأذن أن عمليات الاغتيال بواسطة القصف ستتكرر خلال الفترة المقبلة، يرافقها أيضاً تصعيد المستوطنين في الضفة من هجماتهم على القرى والمدن الفلسطينية بعد أن بدأت تأخذ منحى تصاعدياً. لكن أظن أن الفلسطينيين وأهالي القرى لن يستسلموا لهجماتهم، وردهم سيكون بالوسائل المناسبة للجميع». وأمام تلك التحولات الدراماتيكية في مسار وآليات عمل المقاومة الفلسطينية في جنين وباقي مدن الضفة الغربية، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه، والمتعلق بمآلات الصراع مع الاحتلال، والوجهة التي يسير نحوها، فيرى هنا رضوان محمد ناشط اجتماعي وإغاثي من نابلس أن «كل ما يحدث اليوم في ساحات الضفة الغربية، سواء المواجهة المفتوحة في جنين ونابلس، أو دخول المستوطنين على خط الصدام المباشر، عبر مهاجمة وإحراق المنازل والحقول والسيارات، سيقود بالضرورة إلى تشكيل أطر شعبية مقاومة، تتجاوز الأطر النخبوية المقاتلة، لتكون سنداً لها في إدامة الصراع مع الاحتلال».

بينما غياب أجهزة السلطة الفلسطينية عن المسرح، أمام هول الأحداث التي جرت في الأيام الأخيرة، اختصره مواطن فلسطيني من قرية ترمسعيا في قضاء رام الله، حيث طالب أمام الإعلام ورئيس الحكومة الفلسطينية الذي كان يزور القرية، بتنحي قيادة السلطة والاستقالة من مناصبهم، بعد عجزهم عن حماية الشعب الفلسطيني عبر القول: «لديكم 70 ألف عسكري بكامل سلاحهم، إما أن تقوموا بحمايتنا، وإما أن تسلحونا لنتمكن من الدفاع عن أنفسنا، وإلا عليكم الرحيل».

المشهد لدى الاحتلال

جدعون ليفي في صحيفة «هآرتس» وصف المشهد في جنين، خلال لقاء له مع «قناة 13» العبرية، بأنه قام بزيارة لمخيم جنين قبل أسابيع قليلة، وشاهد المئات من المقاتلين الفلسطينيين المتحصنين في المخيم، في مشهد لم يره منذ أكثر من 35 سنة، وفي رده على سؤال المذيع في القناة، ما العمل؟ أشار ليفي إلى أن الدخول إلى هناك سيؤدي إلى سفك الدم من كلا الجانبين «صُدمت في الزيارة الأخيرة التي كانت قبل أسابيع قليلة من حجم التنظيم هناك وكمية السلاح، هناك الكثير من الحواجز المفاجئة في الأزقة (...) إنه مكان مهيأ لحرب، لا توجد تنظيمات تتنافس مع بعضها، جميعهم معاً موحدون الآن. مكان صعب جداً جداً (...) إذا دخلنا إلى هناك فإنه سيُسفك دم، لا شك في ذلك. نحن داود أمام جالون، هكذا سيكون الوضع دائماً. لن يكون المكان (المخيم) سهلاً. الروح مصممة، إنهم مصممون وسيضحون بحياتهم لوقف أي هجوم إسرائيلي».

المشهد لجهة الفلسطينيين ليس معقّداً، فالمقاومة المسلحة، في مختلف تشكيلاتها وعناوينها، وطرق عملها، أضحت اليوم ظاهرة للعيان، والعين على جنين شاخصة، بعد أن رسخت التجربة فيها، وخيارات الاحتلال أضحت محدودة، ففي الهجوم سيدفع الثمن، وهذا ما بات يخشاه، وفي الانتظار، ستنمو وتتوسع المقاومة في الضفة، لتصبح كلها ساحة النزال.

ربما كان كمين جنين هو النقطة الأولى التي غيّرت قواعد الحرب المستمرة مرة أخرى، بعد أن غيّرها الشهيد محمود طوالبة قبل أكثر من عشرين سنة عندما قال: «الحرب كر وكر»، وفي نفس المكان الذي ولد واستشهد فيه النورسي محمود، يخرج الأبناء فيستعيدون القول ذاته، ليس في أزقة المخيم فقط، بل في الأحياء التي ولدوا فيها خارج المخيم وعلى حدوده، في حيّي الهدف والجابريات، بعد أن دمّر الاحتلال منازل أهلهم في اجتياح جنين في عام 2002. فالأولاد على خطى الآباء كما الأجداد، يجدّدون العهد، ويعيدون للمقاومة طريقها وخياراتها.

(أ ف ب)

(أ ف ب)

جنين التي تورّث المعارك

هشام عبد الله

تبدأ الحروب وتنتهي، لكن للمعارك صيرورة أخرى تبقيها حاضرة. وليست جنين، ثالث أطراف المثلث الفلسطيني مع طبريا وحيفا صاحبات «مرج بن عامر»، سوى مثال حيّ دائم على ذلك، حيث تورّث المعارك جيلاً بعد جيلاً. وفي الحاضر، كما في التاريخ السحيق، ظلّت جنين ميداناً حافلاً بفرسان ذاهبين أو عائدين من موقعة جديدة.

ثمّة صحافيون وكتّاب، رواة وشهود، وآخرون مرّوا على جنين، ودَوّن كل على طريقته، وأنا أحدهم، ثم ولّوا راحلين، وظلّت جنين تخوض معاركها المتواصلة، وتقدّم قوافل الشهداء في مواجهة عدوان مستمر يلاحق الأرواح والحقول التي ظلت ثابتة مع ثبات مرج بن عامر وإصراره على أن يحافظ على أضلاع المثلث كاملة.

ظلت جنين حاضرة قوية في المعارك التي قدّر لنا أن نعيش بعضها، مثل معركة مخيم جنين في نيسان عام 2002، بعد اجتياح مدن الضفة الغربية في انتفاضة الأقصى، وقبلها خلال سنوات انتفاضة الحجارة (1987-1994) مع مجموعات «الفهد الأسود» وغيرها، وصولاً إلى المواجهات المباشرة خلال العامين الأخيرين، وحتى الأيام الأخيرة.

وهو حضور لا ينفك يتحول تدريجياً إلى نمط حياة وسلوك. العدو يزداد شراسة وبطشاً، يضيّق الخناق بقواته وأدواته المختلفة ومستوطنيه، على حركة الناس وعلى حياتهم اليومية، حتى يصبح ذلك كله مخزوناً هائلاً من الغضب والقهر الذي ترثه الصدور أيضاً.

لا تنفك ذاكرة أهالي جنين تنتعش بتذكر القتال الملحمي الذي خاضه الأهل والأجداد في المعارك ضد الاحتلال مما قبل النكبة، وفي النكبة، وحتى اليوم. فمعارك هذه المدينة حيّة حتى يومنا وقائمة لا تتوقف. وثمة معركة متواصلة، وهي معركة المرج والمدينة خلال النكبة.

معارك هذه المدينة حية حتى يومنا وقائمة لا تتوقف، وثمة معركة متواصلة، وهي معركة المرج والمدينة خلال النكبة

والمدينة خلال النكبة. وليس غريباً أن تخوض جنين قتالاً شرساً ضد المحتل الذي حاول أن يستولي عليها في معارك 1948، والطبيعي أن كل معركة في جنين ستحفر عميقاً في ذاكرة المحتل، كتلك المقاومة القوية من أهل جنين ومن الجيش العراقي الذي قاتل ببسالة فيها، فاستشهد منهم، ودفنوا في ترابها، وها هي ذكرى تضحياتهم الكبيرة موجودة أمام الجميع في مقبرتهم والنصب التذكاري عند مدخل المدينة الجنوبي، ليراه كل من يمرّ من هناك. سبقهم قبل ذلك، الشيخ عزّ الدين القسام، بعدما هبط إلى حيفا قادماً من سوريا إثر مطاردة الفرنسيين له. واستأنف القسام ورفاقه قتالهم بمقاومة جنود الانتداب البريطاني في فلسطين. واستشهد القسام في قرية نزلة الشيخ زيد شمال بعد جنوبي جنين، وليكون لاستشهاده الأثر الأكبر في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، والتي شكلت نقطة تحول كبيرة في مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية.

ومع احتلال إسرائيل بقية أرض فلسطين في حرب عام 1967، تصدّرت جنين، مع مدينة نابلس في شمال الضفة الغربية، أعمال المقاومة المسلحة والاحتجاجات التي انطلقت في مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، لتبلغ ذروتها في السبعينيات، ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي، لتكلّل لاحقاً باندلاع انتفاضة الحجارة عام 1978 من قطاع غزة.

لم تهدأ مقاومة الاحتلال الإسرائيلي في جنين، وحتى مع قيام السلطة الفلسطينية عام 1994، ظلت المقاومة تتخذ أشكالاً مختلفة، مع مواصلة المقاومين من حركتَي «حماس» و«الجهاد» الإسلاميتين، ومع تقلّبات المقاومين من حركة «فتح»، صاحبة مشروع سلطة الحكم الذاتي، والذين عادوا إلى الظهور خلال العامين الأخيرين مع تجدد المواجهات التي انطلقت من جنين ونابلس، وامتدت إلى مناطق الضفة الغربية الأخرى، إضافة إلى إلهامها مقاومين في مناطق القدس.

لا تزال معركة جنين الحالية دائرة، ولا يبدو أنها ستكون الأخيرة. ليس ثمة مؤشر واحد على أنها ستكون كذلك، سياتي صحافيون، وكتّاب آخرون، يؤرّخون مهمتهم الوظيفية المؤقتة، ثم يعودون إلى أحبابهم، وسيظلّ أهل جنين حائرين أو متيقّنين على حد سواء، إن كانت جلية المعركة مصدرها أصوات المعارك الأولى ما قبل النكبة، أو أنها معارك اليوم الممتدّة منذ ذلك الحين عند طرف مرج بن عامر، وكل أنحاء فلسطين.

جميل العموري...
ابتسامة أشعلت الضفة

زاهر أبو حمدة

قبل ثلاثة أيام، اتصل به ضابط في جهاز «الشاباك»: «سلّم نفسك». ضحك بصوت مرتفع مستهزئاً: «تعال خُذني من المخيم»، رفضه كان قطعياً وحاسماً، فردّ الضابط: «ساقتلك وآخذ جثتك». أقفل الخط في وجهه واستمر في حياته بشكل اعتيادي.

شارك في حفل زفاف صديقه المقرّب خارج المخيم. رافقه بالفرحة الأخيرة صديق عمره وسام أبو زيد. قررا العودة إلى بيتهما في وقت متأخر كنوع من التمويه والتمكن من قيادة السيارة بسرعة، ولا سيما أن الطرقات فارغة بعد منتصف الليل. في هذه الأثناء، تسللت وحدات إسرائيلية خاصة مستخدمة سيارة من نوع «كادي» تحمل لوحة ترخيص فلسطينية من حاجز الجلمة عبر شارع الناصرة. انتظرت السيارة قرب دوار جسر خروبة القريب من مقر جهاز الاستخبارات العسكرية الفلسطينية، شارفت الساعة على الواحدة فجراً، وصلت مركبة فلسطينية نحو الدوار، هاجمها عناصر الوحدات الخاصة من جيش الاحتلال؛ إنه كمين مُحكم من جميع الاتجاهات. دار اشتباك عنيف وتدخلت خلاله عناصر من جهاز الاستخبارات التابع للسلطة. استشهد المطارد جميل العموري (24 عاماً) وأصيب أبو زيد. وارتقى الملازم أدهم ياسر توفيق عليوي (23 عاماً)، والنقيب تيسير محمود عثمان عيسة (33 عاماً) من جهاز الاستخبارات العسكرية، وأصيب محمد سامر البزور (23 عاماً) من جهاز الاستخبارات بجروح حرجة. ونقلت القوات الخاصة جثمان العموري والمصاب أبو زيد إلى منطقة غير معروفة.

■■■

أعلنت «سرايا القدس» أن مؤسس «كتيبة جنين وملهم الثائرين ومجدد الاشتباك» القائد جميل العموري استشهد في كمين في 10 حزيران 2021. وأضافت أن «اسمه سيبقى خالداً في الذاكرة، تاركاً خلفه حكايات توّجتها ابتسامة دائمة لا تفارق محياه، مجاهد تخرّج من جنبات المساجد، وحمل بندقيته السمراء ودافع عن ثرى مخيمه، وأبى أن يموت إلا بين زخات الرصاص،

«شبابنا الذين تحملون السلاح في الضفة، لا تطلقوا رصاصكم في الهواء، إن هذا السلاح أمانة في أعناقكم، وواجب ديني وشرعي أن يتوجه إلى الاحتلال»

فعاش قائداً شرساً شهد له العدو قبل الصديق». هنا يتضح أن مؤسس الكتيبة شاب في مقتبل العمر، لكن كيف حصل ذلك؟

ولد العموري في مخيم جنين شمال الضفة الغربية المحتلة، عام 1996، تلقّى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدارس المخيم، ونظراً إلى ظروف عائلته المادية اضطر للالتحاق بالعمل ليساعد والده كونه المعيل الوحيد لأسرته، فعمل سائقاً على مركبة خاصة، وسعى من خلال عمله لتوفير ثمن سلاحه. لكن في النهاية باع سيارة الأجرة واشترى بثمنها سلاحه الشخصي.

تمتّع بشخصية اجتماعية ومحبوبة وروح مرحة. وكان دائم الذكر لعمه الأسير شادي العموري، المحكوم بالسجن المؤبد والمعتقل منذ 21 عاماً. وبما أن الشباب التفوا حوله، أصبح يوزع المهام من مراقبة ورصد وجمع السلاح وتوجيه سير العمليات الفدائية. نفّذ العملية الأولى في شهر كانون الثاني عام 2020، حيث أطلق النار باتجاه جنود الاحتلال أثناء هدمهم للمرة الثانية منزل الأسير أحمد القنبع في مدينة جنين. ومن بعدها أصبح يُكمن للاحتلال في الاقتحامات أو عند الحواجز.

■■■

هناك أمور تولد بالفطرة، هي أشبه بجينات خاصة: ابتسامة ساحرة، قلب قوي، عقل فذّ. هذا ما يلخّص شخصية جميل العموري. فكرته كانت سهلة جداً من منظوره: لنطلق النار. هكذا كان «مجدد الاشتباك»، فهو من هتف في أزقة المخيم: «قولوا لكلاب الشباك، جاي جاي الإشتباك». هو محرض جماهيري لأبناء جيله، في مقابل امتلاكه لقدرات خاصة في القيادة، فجنّد الكثير من الشباب ووسّع الكتيبة من دون هرمية واضحة، ولكلّ مقاتل فيها أو خلية حريّة التصرف كلّما وجدت نفسها مستعدةً لذلك. تحوّل ذلك إلى خط سير، أو بالأحرى هو خط نار، فبضع رصاصات تحولت إلى عبوة «التامر» في معركة «بأس الأحرار». هكذا دوّى الصوت في ليل فسمعه فدائيون في الضفة، وتحول إلى صراح الاحتلال من هول ما جرى في عامين فقط.

■■■

ألقى جميل العموري كلمة في مخيم جنين أثناء معركة «سيف القدس» عام 2021، محاولاً تصويب السلاح، وقال فيها: «شبابنا الذين تحملون السلاح في الضفة، لا تطلقوا رصاصكم في الهواء، إن هذا السلاح أمانة في أعناقكم، وواجب ديني وشرعي أن يتوجه إلى الاحتلال».

البلاد

فلسطين: أثرٌ فقأ عين الصهيونية!

مصعب بشير

خسرنا أرض فلسطين -حتى اللحظة- بالنار والغضب والبارود. لكنّ الغلبة بالقوة الغاشمة لا تكفي المستعمِر كي يشعر بأن الأمور آلت له واستقرت، فهو يحتاج إلى قتل إرادة التحرّر لدى المستعمَر. لذا، فإنّ تثبيت السردية الاستعمارية ضروريٌ للوصول إلى تلك الغاية ولخلق أحقية هي في الواقع زائفةٌ ومتهافتة.

لم يكتف نظام إسرائيل الصهيوني بتغيير أسماء المواضع الفلسطينية على طول البلاد وعرضها، فراح يبقّر بطن الأرض، ويحفر في القدس وفي كل مكان سعياً لإيجاد شيءٍ يمكن تأويله بما يؤكد المزاعم الصهيونية. فإسرائيل تعلم جيداً أن السردية التي تستند إلى دلائل أثرية خيرٌ وأفضل من تلك التي تقوم على الكلام فقط.

ما كان لذلك النبش أن يسفر عن شيء يُعتد به، تلك حقيقةٌ لا يعرفها أهل البلاد الأصليون فحسب، بل يعرفها كل من له إلمامٌ بأبجديات القراءة الموضوعية للتاريخ بعيداً عن الطروحات الخرافية والمؤدلجة.

لكن إسرائيل تمكّنت، والحق يقال، من العثور على ما يدعم سرديتها القائلة بأن هناك شعباً نقياً اسمه الشعب اليهودي، وأنه وُجِد في «أرض إسرائيل» وعاصمته «أورشليم» وأنه ظل كما هو رغم «الشتات» إلى

نظراً إلى انعدام أي أثر «إسرائيلي»، تقوم الصهيونية بإسقاط سرديتها على اكتشافات أثرية مصرية، وآرامية، وإغريقية، ورومانية، وتتصيّد فيها أي كلمة تشبه كلمة «إسرائيل»

أن عاد «عُلُوا» إلى «أرض الميعاد». تم ذلك الكشف «المبهر والمقلق» في أواخر عام 1990 عندما عُثر على عدة خوابٍ نُسبت إلى من «عملوا في بناء الهيكل الثاني و/أو تعبّدوا» فيه. لا يمكن لأحدٍ أن يُماري في استثنائية الكشف الأثري الإسرائيلي وخارقيّته؛ فقد اكتشف الصهاينةُ خواتمَ من الطين يُفترض أنهم كانوا في المعبد المزعوم وبنوه دون أن يكتشفوا حجراً أو عموداً أو جزءاً من سقف ذلك المعبد! يشبه ذلك اكتشاف حبة أرُز طُبخت في القِدر التي لا مكان لها غير مكان العثور على الأرُزّة؛ إن ذلك بالتأكيد مستوى غير مسبوق من الهذيان الاستعماري، واختلاقٌ لكذبةٍ ثم تصديقها والانعجاب بها فتصير هي والمستعمرون الصهاينة كتلةً واحدةً صمّاء، فيستحيل الأمر متلازمةً مَرَضية جديدةً يمكن أن نُسميها «التوحّد الصهيوني»، مع كامل الاحترام للأشخاص المتوحّدين.

الآثار وحدها لا تتكلم بل تنطق بها ألسنة الناس

تحدّث مقالٌ صدر أخيراً في جريدة «هآرتس» الإسرائيلية عن مطالبة مجموعة من علماء الآثار الإسرائيليين بالتوقّف عن أعمال الحفر، والاكتفاء بالموجود. يُلمّح أولئك الخبراء ضمنياً إلى أنه لا يمكن إثبات ما لا يمكن إثباته وأن على الإسرائيليين القبول بالتاريخ والوقائع. لم يتجرأ أحدٌ منهم على الإفصاح والقول بأن علم الآثار والمكتشفات الأثرية في أرض فلسطين كانا عرضة لإسقاطات تعسفية مؤدلجة وأن السعي لإثبات ملكية دولة إسرائيل لأرض فلسطين سعي عبثي من الأساس.

كان علم الآثار نقطة الارتكاز عند تيار «المؤرّخين الجدد» داخل إسرائيل. وفي الواقع يشكّل علم الآثار القاعدة المادية الملموسة للتاريخ الموضوعي والعقلاني. ومن جهة أخرى تشكّل عملية تأويل الاكتشافات الأثرية وتقويلها ما لم تَقُلهُ، إحدى أهم وأخطر المهام الاستعمارية، فإذا كانت الاستعمارات التقليدية في الأميركيتين وأفريقيا قد أوّلت الاكتشافات الأثرية بما يبيّن أن الشعوب الأصلانية شعوبٌ همجيةٌ لا نصيب لها من الحضارة، وأن ما يحل بها من استعمار ضروري «لجعل تلك الأشكال بشراً»، وأن التحف التي أنتجتها تلك الشعوب ليست إلا أعمالاً جمالية فقط دون أي إحالة لأي سياق أو حتى لرقي إنساني أو جمعوي، فإن الخصوصية الاستعمارية الإسرائيلية تطلّبت فذلكة خاصة هي خليط من السطو والتأويل الاعتباطي و«التوحد الصهيوني» الذي جيء على ذكره أعلاه.

كيف تتفذلك «الهاسبارا» الصهيونية؟

نظراً إلى انعدام أي أثر «إسرائيلي»، تقوم الصهيونية بإسقاط سرديتها على اكتشافات أثرية مصرية، وآرامية، وإغريقية، ورومانية، وتتصيّد فيها أي كلمة تشبه كلمة «إسرائيل» أو اسم أي «ملك إسرائيلي» ورد في «التـنـاخ»(1). وتسقط على كلمة «إسرائيل» أو «يهودا» قراءتها للتناخ كما لو كان الحق المطلق، بعد أن تنتزعها من سياقها وتختزع لها معنى غير معناها كي تصنع من الطين شوكولاتة. وتعمل دائرة «الهاسبارا» -تعني كلمة هاسبارا بالعبرية: شرح أو توعية- التابعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية عبر ذبابها الإلكتروني على صفحات التواصل على نثر ذلك الطين. ويمكن باختصار شديد تلخيص الفذلكة الصهيونية في ما يلي:

- تدليس ما جاء في «لوح فرنْبتاح». وهو لوح من زمن الملك مرنبتاح الذي حكم مصر بين عامي 1213 و1203 قبل الميلاد، اكتشفه عالم آثار ومصريات بريطاني يدعى ويليام فليندرز بيتري عام 1896. جاء في السطر السابع والعشرين من اللوح ما يلي: «أبيدت 'يسر إي يا إر' ولم تبقَ منها بذرة»(2). ثمّة قراءات أخرى «يزرع إيل» أو «يسر إيل». وكعادة الأغلبية الساحقة من علماء الآثار الأوروبيين الذين رافقوا المجهود الاستعماري، لم يتردّد بيتري في القول بأن المقصود بـ«يسر إي يا إر» هي إسرائيل. تلقّفت الصهيونية بفرح ذلك التأويل ونزعته من كل سياق ولا تزال تَسوّقه على أنه أول إشارة لـ«شعب إسرائيل» الذي تحدّث عنه التناخ.

لكن جميعة ما خلص إليه كثير من علماء المصريات والخبراء في اللغة المصرية القديمة (مثل رمضان السيد ومهى جابر وبسام الشماع وغيرهم)، والباحثين في علم الآثار والتاريخ القديم (مثل أحمد الدبش وخزعل الماجدي) وفراس السواح وغيرهم) بالإضافة إلى معجم الفاظ العهد القديم لفرانسيس براون تفند ذلك، وفق ثلاثة أقوال هي؛ أن النقش الذي خُصص لـ «يسر إي يا إر» على لوح مرنبتاح مطابق للنقوش التي خُصصت للكنعانيين وللشعوب الأجنبية(8) أو أن اللفظ الصحيح هو «يزريل» ويقصد به سهل جزريل (مرج ابن عامر) الذي يشكل السلة الغذائية لفلسطين أو أحد أحياء إسرائيل القديمة، أو أن اللفظ الصحيح هو «يزرع إيل» أي «زارع الإله إيل» وهو ما يؤكد أن إسرائيل ليست إلا إمارة صغيرة على الأغلب. أمّا إذا ما أخذنا الرواية الصهيونية التي تلتصق بالحرفية عبثاً فسيمكننا القول إنها أبيدت وإن الصهيونية جُسيمٌ أنبثق من لا شيء وأصبح حركة قومية!

- اعتماد «نقش تل القاضي» دليلاً على تاريخية «الملك داوود» كما جاء في التناخ. لغةُ نقش تل القاضي آرامية، وقد أوّلت كلمةٌ فيه على أنها تعني: «بيت داوود» أي سلالة داوود التناخي. جاءت في النقوش بعض الكلمات بالإضافة إلى أنصاف كلمات تم تأويلها جميعاً بشكل اعتباطي. وهنا كل ما جاء في النقش: «رآم إبن ملك إسرائيل وقتل ياه إبن ك بيتداوود»(15). لو سلّمنا عبثاً أنها تقصد داوود إياه، فأين آثار قصوره المزعومة؟ يشبه الأمر العثور على شهادة ميلاد فلان، دون أن نرى لفلان أثر. يفيد الباحث أحمد الدبش بأن مؤرخين ومتخصصين في اللغات القديمة مثل توماس توومسون ونداف نيمان الأستاذ في جامعة تل أبيب يشككان في ذلك التأويل ولا يعتمدانه، وأن آخرين مثل المؤرخ واللغوي جيوفاني غاربيني وتوماس فردريك هالم الآثار يعتبرانّ النقش مزوراً (16).

- التدلّك بحوليات سنحاريب أو «موشور سنحاريب». دوّن الملك الآشوري سنحاريب على قطع موشورية الشكل تاريخ فلكه وحملاته العسكرية التي أخضع بها عماله الذين تمردوا عليه في شرق المتوسط، إمّا لأنه تسلّم مملكةً غير مستقرة أو بدعم من مصر. يقول التناخ إن سنحاريب حاصر القدس لكن لعنة الله حلت عليه وجيشه فانسحب، يتحدث التناخ عن مملكة اسمها يهوذا وعن ملكها حزقيا كما لو أنها دولة مستقلة لشعب قائم بذاته. لكن حوليات سنحاريب تؤكد أن حزقيا عاد لدفع الجزية وهو صاغر ولانصياع التام لآشور(17). مرة أخرى تناقض الأدلة المادية التاريخية الآثارية الموسومة التناخ والإسقاطات الصهيونية، التي تحاول ربط يهوذا بالولاية الآشورية بإسرائيل الإمارة الكنعانية في قفزة من قفزات «سوبر ماريو»، لكن دون أي توفيق.

- التمسُّح بـ «قوس تيتوس». شيد الإمبراطور الروماني دوميتيان عام 82م قوساً شرفياً في روما لتخليد ذكرى انتصارات شقيقه الإمبراطور تيتوس. تظهر في القوس منحوتات لأشخاص يحملون الشمعدان اليهودي في إشارة إلى من تمردوا في فلسطين على الحكم الروماني وكان منهم يهودٌ كُثر. يبلغ التأفك الصهيوني مبلغه عند القول بأن ذلك دليلٌ أثري على «تشتيت اليهود بالقوة خارج أرض الميعاد». لكن الأدلة الأثارية تنفي ذلك الزعم وتؤكد وجود قبور ليهودٍ في شمال أفريقيا وروما نفسها تعود لأربعة قرون قبل عهد تيتوس على الأقل، وقد استند إلى ذلك كُتابٌ يهودٌ معادون للصهيونية مثل بيار ستامبول -وهو من مؤسسي الاتحاد اليهودي الفرنسي من أجل السلام UJFP (18)

- وأبراهام ليون - رئيس الحزب الشيوعي البلجيكي الذي أكمل تأليف كتابه القيّم عن التاريخ اليهودي (19) في مُحْتَشَد بوخنفالد النازي قبل إعدامه. ويستشهد كلاهما بالمؤرخ والفيلسوف فيلون السكندري -توفي عام 50م- الذي تحدث عن وجود اتباع الديانة اليهودية في كلّ أنحاء الإمبراطورية الرومانية. يبدو أنه سيتعين علينا محاكمة مجرمي تزوير التاريخ قبل محاكمة مجرمي الحرب الصهاينة.

نحن الفلسطينيين هم اليهود الحقيقيون!

تحاول الصهيونية تسويق الخرافة القائلة بأن من جاءت بهم إلى أرض فلسطين ليسوا إلا أبناء «شعب نقي» أُخرج من «أرضه» عنوة. إن وجود أي شعب هو نتيجة اختلاط لأعراقٍ وجماعاتٍ بشريةٍ في مكان ما، ولسنا كفلسطينيين استثناءً عن هذا الناموس. وإذا كان هنالك فعلاً شعبٌ «إسرائيلي» عاش في فلسطين فإنه سيكون إحدى تلك الجماعات التي تكوّنت. إذا كانت الخزلة المدعومة بالمال والسلاح قد جاءت بأناس إلى أرضنا وطردتنا، فإن الإصرار والحق والعمل ستعيدنا إليها، ولن يكون أمام من جاء إلى أرضنا إلا أن يصبح مكوّناً جديداً في الخلطة الفلسطينية من النهر إلى البحر.

(قوس تيتوس)

هوامش:

(1) التُّناخ «תנ"ך» هو الكتاب المقدس عند اليهود. كلمة تناخ اختصار لـ «توراه، نيفيئيم، كيتوفيم» (تُلفَظ الفاء مثل V]. وتعني: التوراة (الأوامر) أي العهد القديم، الأنبياء، الكتابات. الشق الأول هو أوامر الله، والثاني كتابات الأنبياء، وسيرتهم، والثالث كتابات تأريخية وترانيم وصلوات.

(2) مقابلة عالم المصريات بسام الشماع على قناة الغد بتاريخ 2017/08/17، قناة «الغد» على «يوتيوب»، youtube.com/watch?v=Q7Mky4yRG-U تمّت زيارته في 2023/06/12.

(3) رمضان السيد، «تاريخ مصر القديمة»، الجزء الثاني (القاهرة: هيئة الآثار المصرية، 1993) ص177-185 (استدل الكاتب على هذا المرجع بفضل تعليق للمترجم ماهر جويجاتي الذي نقل إلى العربية ترجمة عالمة المصريات كلير لاويت للوح مرنبتاح).

(4) مهى حسين جابر «قراءة في لوح مرنبتاح» (الجيزة-عمان: حولية «دراسات في آثار الوطن العربية»، الاتحاد العام للآثاريين العرب واتحاد الجامعات العربية، المجلد 21، العدد 21، 2018) ص244-273. cguaa.journals.ekb.eg/?_action=article&au_&140701=20%20Maha%8C%au=jaber%D8%20Hussein

(5) أحمد الدبش «مسألة 'إسرائيل' في لوح مرنبتاح»، مدوّنات قناة «الجزيرة»، 2017/06/07

(6) خزعل الماجدي «تاريخ القدس القديم، منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني» (عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2016) ص 128-130.

(7) فراس السواح «آرام دمشق وآرام إسرائيل، في التاريخ والتاريخ التوراتي» (دمشق: دار علاء الدين، 1995) ص108.

(8) رمضان السيد، ص180-181.

(9) رمضان السيد، ص181.

(10) عبد المنعم أبو بكر «مصر الفرعونية» (اليونسكو/جين أفريك: لجنة اليونسكو العلمية لتحرير تاريخ أفريقيا العام، إشراف جمال مختار، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، 1985) ص 96. cutt.ly/Iwe7bxlD

(11) الماجدي، ص107.

(12) فرانسيس براون وآخرون «معجم ألفاظ العهد القديم (عبري/آرامي-إنجليزي) The Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon of Old Testament with Appendix containing Biblical Aramaic (Boston-New York: Houghton Mifflin Company, 109) P448-449.

(13) الماجدي، ص 180-181.

(14) المصدر نفسه، ص 181.

(15) معهد أرمسترونغ لعلم آثار الكتاب المقدس «the-three-david-inscriptions-310-/armstronginstitute.org

16. أحمد الدبش «نَقْش تل القاضي 'بيت داود' مدوّنات شبكة «قُدس» الإخبارية، 2017/02/17. تمت زيارته في 2023/06/13.

17. فراس السواح، ص254-255.

18. Pierre Stambul «La Nakba ne sera jamais légitime» (La Bussière, Edition Acratie, 2018) P38-41.

19. ترجمة عماد نويهض إلى العربية بعنوان «المفهوم المادي للمسألة اليهودية». وصدر عن دار الطليعة في بيروت عام 1969. ص9.

اللاجئون... إن تركتهم القيادة

مطر عدوان

قبل أيام خرجت تظاهرة للاجئين الفلسطينيين أمام فندق «موفنبيك» في بيروت، بالتزامن مع اجتماع اللجنة الاستشارية لـ«الأونروا». وخلال الاجتماع قدّم المفوّض العام لـ«الأونروا» فيليب لازاريني، خطاباً بيّن فيه المخاطر التي تحيق بالوكالة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين.

ومن ضمن ما صرّح عنه، حاجة «الأونروا» إلى 300 مليون دولار هذا العام، لم يصل منها إلا 13 مليون دولار كدعم إضافي. لعل هذا التصريح ليس غريباً عن «الأونروا» ومفوّضها العام، ولا الناطقين باسمها. وبات معروفاً ووواضحاً السبب الذي تمتنع من أجله عدة دول عن دفع التزاماتها تجاه الوكالة. والسبب سياسي بطبيعة الحال. فهذه الدول تريد إنهاء هذا الملف العالق من غير حل منذ أن وقعت نكبة فلسطين عام 1948، لكن لم تقدم أي منها على تقديم حل للاجئين الفلسطينيين، كالضغط من أجل تنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، ولا سيما القرار 194. إذاً، المطلوب أميركياً وإسرائيلياً تصفية هذا الملف، بأساليب مختلفة منها تجفيف موارد «الأونروا» حتى إعلان إفلاسها، وبالتالي إنهاء ولايتها، ونقل ولاية اللاجئين (ربما) إلى المفوّضية العليا للاجئين التي يمكنها توطينهم في البلدان المضيفة أو نقلهم إلى بلدان أخرى، علماً أن العمل الأول لها، هو إعادتهم إلى بلدهم الذي هُجروا منه، لكن أمام إسرائيل لن يُطرح هذا الأمر، على العكس، قد يجد بعض المشرّعين ذريعة قانونية، أن هؤلاء تهجّروا من فلسطين، بينما اليوم الدولة المعترف بها في نفس الجغرافيا هي إسرائيل.

أمام كل هذا الواقع المتخبط، الذي يلعب فيه العالم بمصير ملايين اللاجئين الفلسطينيين، ليس هناك من يتخذ فعلاً يؤدي إلى اقتراح حلول تبقي على قضية اللاجئين وعودتهم مشعّة في وجه العالم. فأمام الاجتماع الذي انعقد في بيروت قبل أيام، أخرجت بعض الفصائل عدداً من منتسبيها ليتظاهروا أمام فندق «موفنبيك» حيث كان اجتماع اللجنة الاستشارية. تظاهرة في الشكل لم تكن حاشدة، وفي المضمون لم تكن حتى مؤثرة، وذلك لسبب بسيط، أن أي تحرك شعبي لا يترافق مع تحرك سياسي فعّال، فليس هناك إلا خطابات قليلة يأتي خلالها المسؤول الفلسطيني على ذكر اللاجئين وقضيتهم، ومشكلة الوكالة، وفي الغالب يطلق هذا الخطاب الذي يكون في بعض الأحيان «نارياً» أمام الفلسطينيين أنفسهم، أولئك الذين يحضرون بسبب فصيلهم المشارك في الفعالية الخطابية.

إنّ ما يجري اليوم على صعيد اللاجئين الفلسطينيين لم يبدأ اليوم، وليس جديداً أما أقوله، لكن الذي لا تريد القوى الفلسطينية الاعتراف به، ومصارحة نفسها به، هو «من يهن يسهل الهوان عليه»، فمثلاً حين قرّرت «الأونروا» منع تدريس تاريخ وجغرافيا فلسطين في مدارسها، ومرّ القرار، ونجحت في ذلك الوكالة ومن قرّر لها فعل هذا، لم تتحرّك الفصائل إلا بالخطابات وبعض التظاهرات التي لم تترافق مع فعل سياسي فانتهى مفعولها، وكانت النتيجة الحتمية لذلك أن يسأل الصحافيون أطفالاً في المخيمات «من أين أنت؟» فتكون الإجابة السريعة التي يعرفها هذا الطفل «من المخيم». هذه النتيجة التي باتت واقعاً، مُرّرت بسلاسة، وإنهاء «الأونروا» أيضاً سيمر بسلاسة، إن لم يكن في هذا العام، فقريباً، وقريباً جداً، طالما أن من يمثلون الشعب الفلسطيني بمختلف اتجاهاتهم، يظنون أنهم يفعلون ما عليهم، ويعتقدون أنهم سينتصرون بفعل الحق، الحق يقول يا أيها الساسة الكرام، إن لم تكن على قدر المسؤولية فابتعد عنها، ودع من هم أهل لها يحملونها. فاللاجئون الفلسطينيون ليسوا اللعبة الأسهل في زمن باتت السياسة الفلسطينية مبنية على لغة «احمونا»، وليسوا اللقمة السائغة التي بوسع أحدهم التنازل عنها من أجل «السلام»، فلا حل على الإطلاق من دون اللاجئين وعودتهم إلى أراضيهم. وإن كان رئيس السلطة الفلسطينية قال عام 2014: «لن نغرق إسرائيل باللاجئين» لثلاثمئة طالب إسرائيلي كان في لقاء معهم في المقاطعة برام الله، فإن من نافلة القول التذكير بأن عباس اللاجئ من صفد، لا يقرر عن ملايين اللاجئين من أنحاء فلسطين. لذا، فإن كانت بعض التصريحات غير المسؤولة بقصد الدبلوماسية الناعمة المتبعة لدى السلطة الفلسطينية هي السبب، فإن السؤال المفتوح عن الإجراءات التي تتبعها السلطة وباقي الفصائل الفلسطينية لمنع إنهاء قضية اللاجئين الفلسطينيين، وبدلاً من أن يكون النضال اليوم من أجل استمرار تمويل «الأونروا»، ربما سيكون غداً من أجل القبول بالحلول التي ستطرحها أميركا وأوروبا وإسرائيل، كتهجير اللاجئين الفلسطينيين إلى أصقاع الأرض، هذه المرة بتوقيع رسمي، سياتي بعد عباس من يوقّع عليه. لكن السؤال الآخر المحسوم، هل تجرّأت أمّ فلسطينية على إنجاب من يتنازل عن حق العودة؟

إسرائيل في مواجهة العرب

(أ ف ب)

صادق القضماني *

نضال أبناء الجولان المحتل في الـ 15 عاماً الأولى على الاحتلال زرع ثوابت وطنية عميقة لا يمكن لأحد تخطيها. سنوات أفشلت فيها مشاريع «الأسرلة» أو «الدولة الدرزية» أو «فرض المواطنة الإسرائيلية» والتجنيد العسكري الإجباري، واعتبر قرار مجلس الأمن (479/1981) قانون ضم الجولان لدولة الاحتلال مُلغى وباطلاً. وهذا القانون ذاته، الذي أدى بالأهالي هناك للانتفاض ضده ورفضه، تحققت هذه الإنجازات بفعل الآف الجولانيين منذ احتلال هذا الجزء من سوريا وحتى اليوم.

اليوم... هبة المراوح

يسعى الاحتلال منذ سنوات إلى تنفيذ مشروع «الطاقة البديلة»، وفي المقابل يرفض أهالي الجولان هذا المشروع الذي سيُنفذ على أراضيهم. وتخلل نضالهم، استغلال القانون الذي يفرضه الاحتلال عليهم قسراً، فتوجهوا إلى المحاكم المعنيّة لتعرية ادّعاء الشركة المُنفّذة بأن «المراوح إنّما هي لخدمة مناطقهم»، فضلاً عن اللجوء إلى المؤسّسات الدولية من خلال وطننا الأم سوريا، بوصفها الجهة الوطنية المخوّلة أمام تلك الهيئات. على أن كلّ ما تقدّم من خطوات لم يُجدِ نفعاً في كبح عجلة المشروع، الذي نال مصادقة حكومة الاحتلال، رسمياً، أواخر عام 2020.

المصير الواحد

يريد الاحتلال من خلال هذا المشروع، مدّ الاستيطان إلى أراضي الجولان، وتفريغه من سكانه الأصليين. لذا، فالمواجهات التي اندلعت هناك، لم تكن عفوية، بل بقرار اتخذته الحركة الوطنية في الجولان ممثلة بـ«الهيئة الدينية والزمنية» منذ الكشف عن نية العدو الصهيوني تنفيذ المشروع. إنّ مشهد الأهالي بصغارهم وكبارهم، بنسائهم ورجالهم، وهم يواجهون الاحتلال، يمثّل أفضل معاني النضال الجمعية، فبينما كانت تحدث الإصابات بينهم، كانوا يزدادون عنفواناً وإقداماً، فتوصيف المعركة لديهم «معركة وجود». وحتى عندما اعتقل الاحتلال بعضهم، لم يكن الانتظار سيد الموقف، بل اقتحام مركز صغير لشرطة الاحتلال في قرية مسعدة من أجل تحرير المعتقلين.

انتقل الغضب الشعبي إلى قرى الجليل والكرمل في شمال فلسطين المحتلة عام 1948، فقد هبّ الأهالي هناك لمساندة الجولانيين، هذا تطور يجب الوقوف عنده وتوجيهه نحو مساره الحقيقي، فمن ناحية الظاهر، أهلنا في فلسطين المحتلة قاموا بمواجهات التي اندلعت هناك، لم تكن عفوية، بل بقرار اتخذته الحركة الوطنية في الجولان ممثلة بـ«الهيئة الدينية والزمنية» منذ الكشف عن نية العدو الصهيوني تنفيذ المشروع. إنّ مشهد الأهالي بصغارهم وكبارهم، بنسائهم ورجالهم، وهم يواجهون الاحتلال، يمثّل أفضل معاني النضال الجمعية، فبينما كانت تحدث الإصابات بينهم، كانوا يزدادون عنفواناً وإقداماً، فتوصيف المعركة لديهم «معركة وجود». وحتى عندما اعتقل الاحتلال بعضهم، لم يكن الانتظار سيد الموقف، بل اقتحام مركز صغير لشرطة الاحتلال في قرية مسعدة من أجل تحرير المعتقلين.

انتقل الغضب الشعبي إلى قرى الجليل والكرمل في شمال فلسطين المحتلة عام 1948، فقد هبّ الأهالي هناك لمساندة الجولانيين، هذا تطور يجب الوقوف عنده وتوجيهه نحو مساره الحقيقي، فمن ناحية الظاهر، أهلنا في فلسطين المحتلة قاموا بمواجهات التي اندلعت هناك، لم تكن عفوية، بل بقرار اتخذته الحركة الوطنية في الجولان ممثلة بـ«الهيئة الدينية والزمنية» منذ الكشف عن نية العدو الصهيوني تنفيذ المشروع. إنّ مشهد الأهالي بصغارهم وكبارهم، بنسائهم ورجالهم، وهم يواجهون الاحتلال، يمثّل أفضل معاني النضال الجمعية، فبينما كانت تحدث الإصابات بينهم، كانوا يزدادون عنفواناً وإقداماً، فتوصيف المعركة لديهم «معركة وجود». وحتى عندما اعتقل الاحتلال بعضهم، لم يكن الانتظار سيد الموقف، بل اقتحام مركز صغير لشرطة الاحتلال في قرية مسعدة من أجل تحرير المعتقلين.

انتقل الغضب الشعبي إلى قرى الجليل والكرمل في شمال فلسطين المحتلة عام 1948، فقد هبّ الأهالي هناك لمساندة الجولانيين، هذا تطور يجب الوقوف عنده وتوجيهه نحو مساره الحقيقي، فمن ناحية الظاهر، أهلنا في فلسطين المحتلة قاموا بمواجهات التي اندلعت هناك، لم تكن عفوية، بل بقرار اتخذته الحركة الوطنية في الجولان ممثلة بـ«الهيئة الدينية والزمنية» منذ الكشف عن نية العدو الصهيوني تنفيذ المشروع. إنّ مشهد الأهالي بصغارهم وكبارهم، التي انكشفت أمامهم بوضوح في السنوات الأخيرة. وهذا التطور يوجّه في المستقبل للنضال تحت ذهنية الهوية العربية الفلسطينية التي دأب الاحتلال والحركة الصهيونية منذ نحو مئة عام، لكي وعي «الدروز» في فلسطين المحتلة من أجل سلخهم عن عمقهم العربي، واستثمارهم في مشاريع التقسيم والفتن.

هذا الغضب الشعبي العارم، يمكن أن يتسع، ولا سيما بعد الاستفزاز الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية، ممثّلة ببعض أركانها منهم بن غفير، إذ نقلت الصحافة العبرية عن مصادر في شرطة الاحتلال قولها «إن بن غفير يجر الدولة إلى حرب ضد الدروز»، وحذّرت هذه المصادر ذاتها من أنه إذا لم يتم وقف الأعمال، لفرض إجراء مفاوضات مع أهالي الجولان «فسينتهي الأمر بإراقة الدماء».

نضال من أجل التحرر

إنّ أحداث الجولان الأخيرة، هي امتداد مع اشتباك الشهيد محمد صلاح، العربي المصري، في جنوب الأراضي العربية المحتلة المحاذية للأراضي المصرية، وتتماثل بعملها مع الهبة البطولية لأهالي كفرشوبا اللبنانية دفاعاً عن أرضهم بوجه عدو مغتصب، ومع المقاومة بأشكالها في أنحاء فلسطين المحتلة. ولعل هذا ما لم يتمكن الاحتلال أن يفهمه، بأن المواجهة لا تقف في مكان، ولا تتوقف أمام أحد، فوجوده مرفوض من الجميع، والمستعمر لن يقبل بأي شكل من الأشكال بالمستعمِر. وصحيح أن الاحتلال لم يطلق عملية «كاسر الأمواج» في كل الأراضي المحتلة، لكن ممارساته كذلك، وإن كان هناك ما يؤكد المؤكد، فإن المقاومة العربية للاحتلال قائمة داخل الأراضي المحتلة وخارجها، وفي كل مكان يمكن لإسرائيل أن تعلن عن نفسها فيه.

* أسير محرر ـ الجولان

توثيق

مشروع طموح يوثّق ذاكرة المدينة بمبادرة من «دار قنبز»

بيروت... من تَعب ومن ذَهَب!

ساندرا الخوري

شاركت مجموعة من المساهمين في إنجاز كتاب «بيروت 360 . متحف الجيب» الذي تصدره «دار قنبز» في عطلة نهاية هذا الأسبوع، إحياءً لتاريخ العاصمة ضمن جولة ثقافية وفنية تغرقنا في ذاكرتنا وتعرّفنا إلى بيروت من زوايا ونواحٍ قد تكون مجهولة في الكثير من الأحيان.

الاطّلاع على الكتاب المهم، يعطي فكرةً عن جدّية هذا العمل ودقّته وطريقة تقديمه. كل ما يخصه من مادة ومشاركين وحتى الإعلان عنه وتوزيعه غير تقليدي، ويحثّنا على معرفة المزيد. في الشريط الإعلاني السابق للإصدار، تقول مؤسِّسة «دار قنبز» الفنانة ندين توما: «هذا الكتاب حبّ وجهد جماعي لنتذكر ونستذكر ولا ننسى أننا لا نأتي من فراغ».

يضمّ الكتاب 360 مداخلة و550 صورة، أسهم فيه عدد من الأشخاص من مؤرّخين وجيولوجيين وعلماء آثار ومهندسين ومخطّطين مدنيين وفنانين وكتّاب ورسامين ومؤسسات فنية ثقافية. تشرح لنا توما الفكرة في اتصال معها: «نحن كـ «دار قنبز»، أقمنا أنشطة عدة لتفعيل معرض «ألو بيروت» الذي يوزّع ضمنه الكتاب. كما كانت لنا جولات تفاعلية ضمن المعرض في «بيت بيروت» (السوديكو). «بيروت 360 . متحف الجيب» هو ثالث جولة نقوم بها، وخصوصاً أنّ «ألو بيروت» يُعيد إخبار قصة المدينة بطريقة غير تقليدية وغير خطيّة. وهل هناك أجمل من الكتاب كي يترك آثاره؟ عملنا عليه باللغة العربية وأردنا في أن تكون المعرفة في متناول الجميع. أرغب في أن يستمتع بهذا الكتاب الأستاذ الجامعي ومصفّف الشعر وبائع البوظة وطالب الجامعة على حد سواء. الكتاب ليس نخبوياً من ناحية تقديمه المعلومات. هو لنتذكر أننا لا نأتي من فراغ. لهذه المدينة تاريخها من آلاف السنين، وما زالت تكمل مشوارها ولديها الكثير لتقوله».

يضمّ كتاب «بيروت 360» صفحات غنية جداً بمعلوماتها وصورها ونصوصها، شارك في إعدادها اختصاصيون في مجالاتهم، إلى جانب ندين توما، على سبيل المثال هناك شارل حايك الذي كتب نص «بيروت ابنة المياه»، وآن ماري مايلا عفيش التي أضاءت على أهمية بعض القطع الأثرية في المتحف الوطني، وهناك دلفين دارمنسي أبي راشد صاحبة نصوص تتناول ذاكرة المدينة والمكان والكثير غيرهم.

سيوزّع الكتاب مجاناً في «بيت بيروت» في إطار عرض تؤدي فيه توما نصوصاً كتبتها بنفسها، يرافقها موسيقياً كلّ من سيفين عريس (كاليمبا وأصوات) وميساء جلاد (غناء وغيتار) وفرح قدور (برق وإيقاع). يقام الإطلاق يومي السبت والأحد بين الساعة الرابعة والنصف، والخامسة والنصف من بعد الظهر في «بيت بيروت».

أما صباحاً، فستكون هناك جولة في شوارع العاصمة وأحيائها على متن «بيك أب» لتوزيع الكتاب مجاناً على المارة. من المهم جداً أن يكون للراغبين في الحفاظ على ذاكرة عاصمتهم، مادة يثقون بها ويستندون إليها من أجل تكوين معرفة عميقة عنها. في هذا الإطار، ترى توما أنه «قبل الحفاظ على المدينة وذاكرتها، يجب أن نعرفها. نتعارك على مدينة أكثرية أهلها لا يعرفونها ولا يعرفون تاريخها ولا قصصها. هم يجهلون إلى أي حدّ هي غنية إن كان ثقافياً أو موسيقياً أو مسرحياً. بالنسبة إلينا، السياسة الحقيقية هي سياسة الفنون والثقافة والمعرفة. عندما نخفيها ونضعها في يد بضعة أشخاص، يصبح التطرف السياسي والديني هو الحاكم. ما نريده هو العقل والروح والجمال والذوق. هذا الكتاب يشكّل نقطة في بحر ما يعمل عليه كثيرون غيرنا». تتابع من جهة أخرى متحدثةً عن مدى الاهتمام الذي يثيره هذا الموضوع: «يخلقه المرء عندما يأتي بمواد له. حتى لو كنتُ مهتمة بتاريخ المدينة وثقافتها، وليس لديّ كتاب متوفر ولا تؤدي الجامعة والمدرسة هذا الدور لتعبئة هذا الفراغ، فلا يمكنني أن أجد المعلومات. لا يمكن الاعتماد على غوغل. من الضروري لنا أن نكون منتجين للمعرفة والفكر وليس فقط مستهلكين».

إطلاق «بيروت 360 . متحف الجيب»: اليوم وغداً الأحد ـ بين الرابعة والنصف والخامسة والنصف من بعد الظهر في «بيت بيروت» (السوديكو) مع عرض تؤدي فيه ندين توما نصوصاً كتبتها برفقة الموسيقى مع سيفين عريس (كاليمبا وأصوات) وميساء جلاد (غناء وغيتار) وفرح قدور (برق وإيقاع)

المشهد العشرون . اليوم السبعون من الربيع . فرنسوا سرغولوغو . غاليري جانين ربيز . 2018

مجموعة فيصل الأطرش. بإذن من المؤسسة العربية للصورة

مرفأ بيروت عام 1939 . عشية الحرب العالمية الثانية. وسفينة لو شامبوليون

مرفأ بيروت عام 2017 . مع سفينة روسوس الراسية في يمين الصورة

سيدة البزاز ـ مار مخايل

قهوة الفزاز. ابراهيم مرزوق. غاليري صالح بركات. 1965

البنك العثماني . بيروت . مجموعة كميل طرزي

اضطراب في بيروت. فردان . Collectif Gémeaux ـ غاليري جانين ربيز ـ 2015

صخرة الروشة. بيروت. مجموعة كميل طرزي

خطيبة درزية. مجموعة كميل طرزي

تمثال امرأة من رخام . الحقبة الرومانية . وزارة الثقافة المتحف الوطني

ذاكرة بيروت . وانك اللادقي

منظر عام لبيروت. مجموعة كميل طرزي

مجموعة سيمون شهالي. بإذن من المؤسسة العربية

اصحاب السلّة بيروت . مجموعة كميل طرزي

«المطبقية» او «السطيلة» . مجموعة انطوان كبابه

احب بيروت. جميل ملاعب . غاليري جانين ربيز . 2021

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 حزيران 2023 العدد 4947

المفكرة

#قاطعوا_بوما

■ تدعو «حملة مقاطعة إسرائيل في لبنان» إلى الانضمام، اليوم السبت (س: 20:00)، لـ «يوم التحرّك ضدّ بوما العالمي» الراعية لـ «اتحاد كرة القدم الإسرائيلي». تشارك الحملة في التغريد بالاشتراك مع حملات عالمية عبر وسم #قاطعوا_بوما، آملةً في أن يسهم الضغط على الشركة الألمانية الأصل في تغيير سياستها، بخاصة أنّ عدداً من الفرق الرياضية حول العالم قد أنهى عقوداً معها، بعد تزايد عمليات القمع والعنف ضد الفلسطينيين، آخرها نادي «السد» القطري.

عرض طرابلسي عن المخدرات والطفولة

■ في «اليوم العالمي لمكافحة إساءة استعمال المخدرات والإتجار غير المشروع بها»، يدعو «المسرح الوطني اللبناني ـ سينما أمبير» في طرابلس، اليوم السبت، إلى حضور فيلم The Best of all Worlds (2017) ـ 100 د/ الصورة) للنمسوي أدريان جويجنجر، تليه جلسة أسئلة وأجوبة مع المخرج. من وحي طفولة الأخير، تدور الأحداث في أواخر التسعينيات. ينشأ الطفل البالغ 7 سنوات على يد والدته العشرينية «هيلغا» المدمنة على الهيروين.

وبالرغم من وجوده في هذه البيئة الصعبة، تمتّع أدريان بطفولة سعيدة، قبل أن تخضع علاقته بوالدته للاختبار حين يعلم «مكتب رعاية الأطفال النمسوي» بمعاناتها مع المخدرات، فينهار عالمهما الصغير.

عرض The Best of all Worlds: **اليوم السبت ـ س: 17:00 ـ «المسرح الوطني اللبناني» (طرابلس ـ شمال لبنان). الدخول مجاني. (رابط الحجز على موقعنا).**

زاهي وهبي: قصائد جنوبية

■ اليوم السبت، ينظّم «نادي الخيام الثقافي الاجتماعي ـ مجمّع الدكتور شكر الله كرم» أمسية شعرية يحييها الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي (الصورة)، برفقة الفنان هاني سبليني على البيانو، ويقدّمها أحمد حسّان. ويشارك رئيس «منتدى الفنان الجنوبي الدولي» الفنان حسين سلّوم بالرسم المباشر.

أمسية شعرية لزاهي وهبي: اليوم السبت ـ س: 17:00 ـ «نادي الخيام الثقافي الاجتماعي» (جنوب لبنان).

عيد الموسيقى مستمر

■ تدعو رئيسة «المعهد الوطني العالي للموسيقى - الكونسرفتوار»، هبة القواس، اليوم السبت وغداً الأحد، إلى الاحتفال بـ «يوم الموسيقى العالمي» مع عزف حيٍّ لطلاب الكونسرفتوار من القسمين الشرقي والغربي، على امتداد فروع المناطق اللبنانية. اليوم السبت، تتنقّل الفعاليات بين درج الفن مار نقولا (الجميزة ـ بيروت/ س: 17:30)، مطار رفيق الحريري الدولي (س: 17:00)، شارع البلدية في جونية (س: 19:00)، Spot Mall (صيدا ـ س: 17:30)، فرع الكونسرفتوار في زحلة (س: 16:00). أما غداً الأحد، فستكون في ساحة ضهور الشوير (س: 18:00)، شارع مبنى الكونسرفتوار في البترون (س: 19:00)، حديقة «بيت الفن» في طرابلس (س: 18:00) و«جار الأرز» (عين زحلتا ـ بعقلين/ س: 18:00).

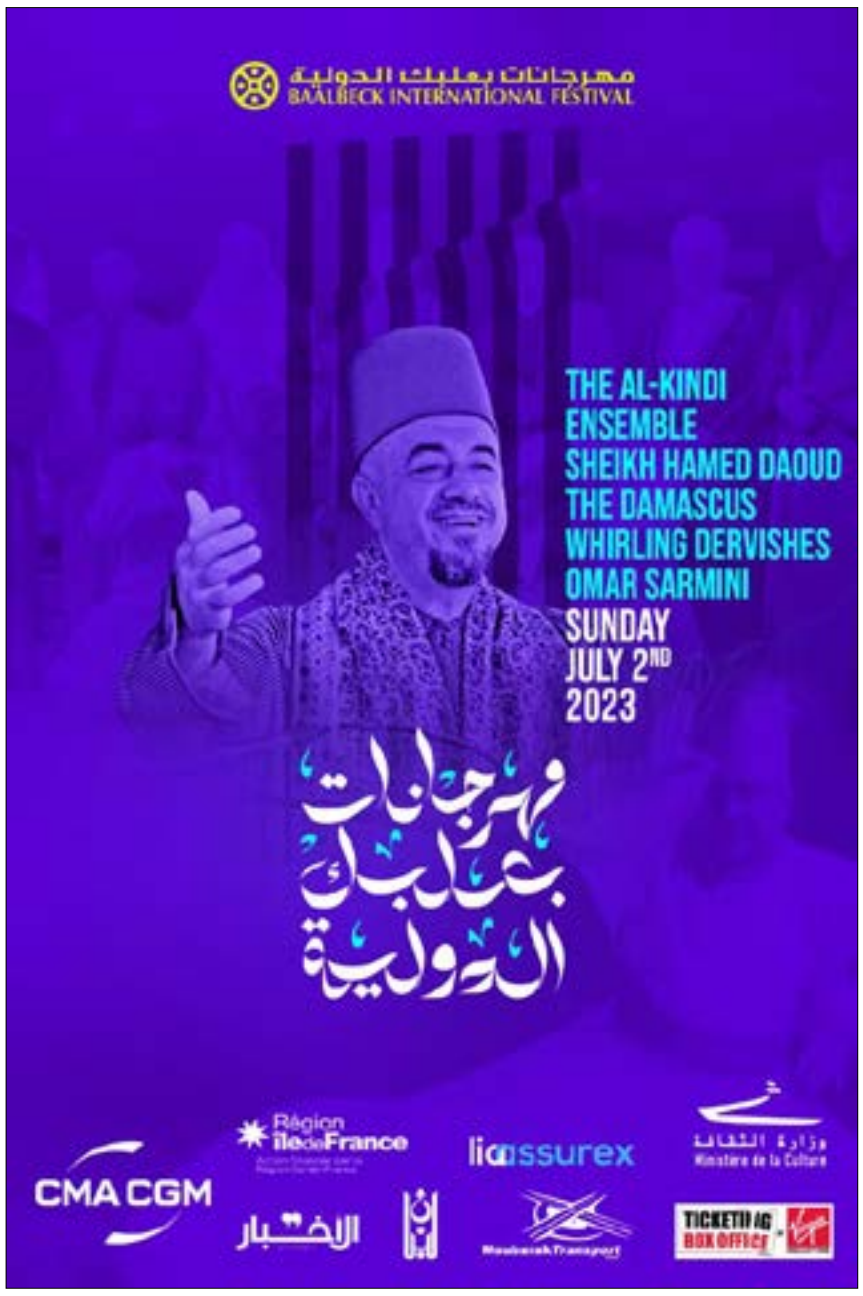

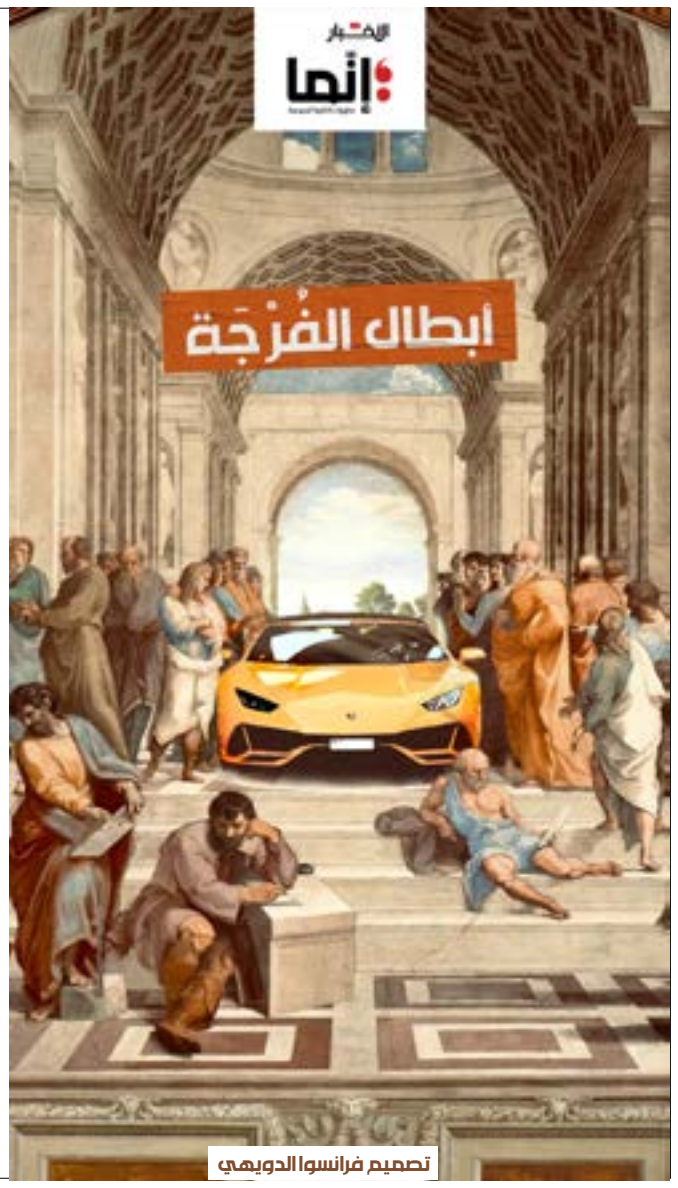

أبطال الفُرجَة

بول مخلوف

منذ اللحظة التي يرنّ فيها جرس المنبّه حتى يحلّ موعد النوم، لا يتوانى أبطال الفرجة عن إغداقنا بصور وفيديوات تفشي بجغرافيا رحلاتهم، مقياس أحذيتهم، ماهية أطباقهم، وكمّ البخشيش الذي يتركونه وراءهم للنادل. نجوماً وأبطالاً، كتّاباً وفنانين، يجتمعون جميعهم في الترويج للبصلة باعتبارها أونصة ذهب. بائع البصلة الذي خال نفسه صائغ الذهب يحاجج بأن الدموع التي تخلف عملية تقطيع البصلة لا علاقة لها بغاز الكبريت، بل هي مفيدة للصحة وتساهم في خسارة الوزن. لا يضحك الوعي الزائف على نفسه فحسب، إنما يضحك على البشرية جمعاء في قدرته على تبرير ما لا يبرر.

منذ لحظة الاستيقاظ حتى لحظة الإغفاء، لا تنخفض أصوات أبطال الفرجة وإنما تشتدّ، وتمتدّ، ولا تفنى قبل أن يصبح المتلقي مسكوناً بأصدائها. إسداء النصائح حول الحياة السعيدة لن نحسبه، سنتغاضى عن هلوسة المنجمين وترّهات اختصاصيي التنمية البشرية ونتفرغ لذكر هول الـ«بلينغ» الذائع. المفردة عصرية الآن، بل تكشف معنى العصر. هي ترادف الفُرجَة وتفوّقها تكثيفاً، وقد دخلت حديثاً (في سيارة فيراري) من المُعاش إلى القاموس وتترجم بـ: سيارات فخمة سريعة، حياة هوليوودية جامحة، عملة خضراء ذات ملمس ناعم ورائحة منعشة، والليل المجنون الذي تزيّنه الأجساد السيليكونية ويضيئه لمعان ماركات الثياب العالمية. هذه فضائل الفُرجَة التي على واحدنا الاحتذاء بها وإلا هدده الطرد من المشهد.

سيجدونك حتماً، مهما حاولت الاختفاء فلن تنجح، العالم قرية صغيرة والناس تعرف بعضها. باتوا مزروعين في خلاياك، انتهكوا حواسّك ودخلوا فيك منذ لقاح الكورونا. هم يصغون إلى همساتك، يعلمون من تحبّ وماذا تتكلم عمّن تكره؛ هاتفك المحمول الذي تطلّ منه إلى العالم هو قبرٌ مفتوح يعرض جثةً طازجة جاهزة للتنكيل. إذا كنت لا تريد إرهاق نفسك بالتفكير، فاسمع كلمتهم ووافق على الدعوة. أبطال الفرجة منهمكون في حثّنا على النهوض وفعل «شيء» بأسرع ما يمكن، لأن الاستلقاء على الأريكة، كما يزعمون، مضرّ ويسبب الكآبة باستثناء حالةٍ واحدة: إن كان هذا الاستلقاء مصحوباً بأكياس «تشيبس» وصناديق مقلية من الـ«برغر كينغ». يبشروننا بالاستهلاك المفرط، التحلّي بالنهم وممارسة النهش، الجنون بالتملّك ولو كانت نتيجته بيع الأعضاء للحصول على الحياة الرغيدة من ضمن بشارتهم أيضاً. لا تأخذ فعل الأمر الصادر عن «افعل شيئاً» على محمل الجدّ، فقط توقف عند الحماسة المضمرة في عبارة «بأسرع ما يمكن». هو زيف القبض على اللحظة التي يسمح بتشويهها، (وتسأل لماذا الحاضر بهذه الرداءة؟) ذلك أن السرعة تتطلّب عكَ هذه اللحظة، ومضغها ومن ثمّ رميها. وفي هذا انتقام صارخ من عدم القدرة (البشرية) على الخلود، وعليهِ، هي الحقيقة الموجعة بأن الموت أسرع من انعكاس بريق المجوهرات، ما يعني أن الفُرجة أيضاً تنطفئ. لذلك تصبح الكاميرا المصوّبة على الأحذية، وقطع الكيك، وزجاجات الشامبانيا (في حفلات وديع الشيخ) منشغلة بتأبيد هذه اللحظة، في جعلها غير منسيّة، لأن أبطال الفرجة يبحثون عن خلودهم في الصور.

يقدّم الاستعراض نفسه بوصفه حياة متلألئة مشعّة يجسّد وعود الأبدية بطرفة عين، فيما أبطاله هم أنبياء المعبد وآلهته. مثلما هي الحال مع المسرح الاحتفالي حيث ما إن يحقق البطل دعوته حتى يبدأ بالتصفيق لنفسه؛ في مجتمع الفرجة، ينصهر البطل مع الجمهور والكلّ ينشغل بالتصفيق. ينصهر الصوت مع الصورة أيضاً، ويصبح المشهد برمته مكشوفاً. الوقت لا يسمح بالتذمر ولا بالاعتراف بأن الجهاز العصبي يكاد يتلف جرّاء تلقفه المضني هذا، فحضارة اليوم تتطلّع نحو القمر؛ هي لا تعرف الإجهاد، هي تسير على كبسة زر.

ومن بين الأزرار الكثيرة أمامك، اضغط على هذا الزر: www.al-akhbar.com\innama لقراءة العدد كاملاً، نحن لا نعرف إذا كان عطارد كوكباً أو نوعاً من أنواع الزنجبيل. فما بالك بالقمر، لكننا، وكما ستقرأ، نعرف التفريق بين صائغ الذهب ومن يقطع البصلة، ونعرف كيف نزيل القشرة (القشور) وكيفية فرمها.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 حزيران 2023
العدد 4947 السنة السابعة عشرة
Samedi 24 Juin 2022 nº 4947 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

فاطمة المرنيسي
المشاكسة

محمد ناصر الدين

«إنّ العالم العربي الذي يستحق أن نحارب ونتصادم في سجالاتنا من أجله هو عالم حيث يستطيع العقل العربي بسط قدراته كما يبسط عصفور جناحيه ليبلغ الأعالي. ولن يولد المجتمع العربي، كمجتمع معرفة يتكيّف مع المجرّات ودقائق التكنولوجيا الحديثة ما لم يتح للمرأة، أن تتعلّم، وأن تشارك في صنع القرار، وأن تنسج أفكارها حول شبكات البثّ الإلكتروني، مثلما كانت الجدّات تحوك، بتلقائية مدهشة، آلاف الأزهار الهندسية فوق السجاجيد».

من بوابة «المجلس العربي للعلوم الاجتماعية»، يصدح مجدداً صوت عالمة الاجتماع المغربية الراحلة فاطمة المرنيسي (1940ــ 2015) عبر كتاب يجمع سلسلة محاضرات نظّمها المجلس تكريماً لصاحبة «هل أنتم محصّنون ضد الحريم؟» و«شهرزاد ترحل إلى الغرب». يضمّ الكتاب بين دفّتيه المحاضَرات الكبرى الثلاث التي ألقيت في إطار السلسلة: المحاضرة الأولى التي ألقتها أسماء بنعدادة في بيروت (2019) بعنوان «أعمال فاطمة المرنيسي بين المقاربة التاريخيّة والبحث الميدانيّ»، بمشاركة إدريس كسيكس الذي قدّم شهادةً بعنوان «رسالة إلى الفقيدة»، وديمة قائدبيه التي قدّمت قراءةً في كتاب المرنيسي «ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعيّة». أما المحاضرة الثانية، فقد استضافت أميمة أبوبكر (2020) وحملت عنوان «المعرفة الدينيّة في العالم العربيّ من منظور نسويّ: من النقد إلى إعادة البناء». أمّا المحاضرة الثالثة فألقتها زينة زعتري (2021) بعنوان: «تحوُّلات الحركات النسويّة والكويريّة في المنطقة العربيّة: السرديّة والتغيير المجتمعيّ».

ينطوي الكتاب على بيبليوغرافيا شبه شاملة تضمّ أبرز مؤلَّفات المرنيسي بلغتها الأصليّة وتلك المترجمة إلى اللّغة العربيّة، فضلاً عن مداخلاتٍ وتعقيباتٍ وشهاداتٍ وصورٍ خاصّة للمرنيسي في حياتها اليوميّة وأعمالها الميدانيّة. سلسلةُ المحاضرات التي ألقيت في إطار المؤتمر السادس لـ «المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة» (بيروت 2023) محاولة جدية للإحاطة بفكر المشاكسة التي لم تسعَ في مؤلّفاتها إلى تقديم عائلة عربية ومسلمة مثالية للقارئ خالية من التناقضات وتسودها الطمأنينة والسعادة كما أوهمتنا بذلك خرافات الطفولة وأحلام المراهقة، بل سعت جاهدةً إلى زعزعة طريقة فهمنا للخلية الاجتماعية الأولى وتشكيك القارئ في معتقداته الخاصة وأنماطه حول دينامية الجنسين وأدوارهما، وحثّه على التفكير في أشكال جديدة للعلاقات الجندرية. حاربت بكل قوة النموذج الاستشراقي لشهرزاد الذي يصوّر المرأة الشرقية خاملة في الحرملك كما في لوحات دولاكروا ونظريات المستشرقين: «كنت متأكدة بأنّها إنسانة تستثير الإعجاب، ذات ذكاء مذهل. لو كانت شهرزاد تنظر إلى نفسها على أنها بليدة، لكان الملك قطع رأسها. إنها تحترم قدرة الكائن على تغيير قدره، السحر كامن فينا، تلك هي رسالة شهرزاد. إننا نأتي إلى العالم مجهَّزين لكي ندافع عن أنفسنا. عقلنا سلاح لا يقهر. إن احترام الذات هو سرّ النجاح، ولذلك أبهرت هذه المرأة الشرقيّين رجالاً ونساءً في الأمس واليوم». لم تغب المرنيسي يوماً عن نضالات الإنسان العربي في وجه السلطة بكل وجوهها، خصوصاً تلك التي تستمد قوتها من ضعف الشعب أو من إقصاء النساء والحجر عليهنّ، وتكريمها في هذه اللحظة المفصلية من تاريخ الإنسان العربي في بحثه عن الكرامة، جزءٌ من المسيرة الطويلة في بناء «العربيّ العالمي» على حدّ تعبيرها، الذي لا ترتبط قيمته بجنسه ولا بمركزه بل بإنسانيته المجيدة.

رسم ايرين كويستا

حوار

سحر خليفة: وحده الكفاح الـمسلّح...

«بدأت الحكاية بمولد طفلة صغيرة لعائلة نابلسية فلسطينية. وكالعادة، استُقبلت الطفلة بعدم ارتياح يبلغ حدّ الشهقات وذرف الدموع. فقد كانت الطفلة الخامسة على التوالي. وتبعتها ثلاث أخريات. والوالد الذي كان يتلهّف إلى صبيّ يحمل اسمه، شعر أن صورته كـ «أبي البنات» وما تعنيه هذه الصورة من انتقاص في مقاييس الرجولة، قد أُثبتت إلى الأبد. أمارة فعل الأم فكانت أبلغ. إذ بكت لأيّام واعتبرت نفسها واحدة من الأمهات الشقيّات الملعونات المنحوسات. بالإضافة إلى مصابها الأليم. أحسّت بالذعر خوفاً من أن يستغل الزوج ذاك الحدث ويتّخذه مبرّراً لزواج جديد من أمراة جديدة». من قلب هذا المأزق الوجودي في قلب المجتمع الذكوري المشرقي بسلطته البطريركية وقيمه المجحفة بحق المرأة، شقّت سحر خليفة (1941) إحدى أبرز الروائيات على الساحة الفلسطينية والعربية اليوم، طريقها نحو الكتابة والأدب. كتابة توّجتها بسيرة روائية بعنوان «روايتي لروايتي» استكملت «دار الآداب» البيروتية جزأها الثاني أخيراً (2023) بعد الجزء الأول الصادر عام 2018؛ إنها رحلة أشبه بالسير بين الألغام توزّعت على شرطين وجوديين في سيرة صاحبة «الصبار» و«حبّي الأول»: قضية تحرّر المرأة العربية من جهة، والنضال في وجه الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية من جهة ثانية. طبع هذان الاقنومان أعمالها منذ باكورتها الروائية «لم نعد جواري لكم» (1974) حتى الكتاب الأخير. أعمال تعبّر عن إيمان خليفة العميق بأن وعي المرأة النسوي جزء لا يتجزّأ من وعيها السياسي، وأن نضال المرأة العربية والمحن التي تمرّ بها جزء من النضال العام من أجل التنوير والتحرير. في روايتها لم تستطع خليفة إلا أن تصنّف نفسها خارج إطار «الجماعة». وتبدّت ذاتها الروائية كروح هائمة وضائعة بحيث كانت الشخصيات جميعها تواجه المصير الكافكاوي ذاته من الإهانة والهزيمة والألم. بدأت الكاتبة الحائزة الدكتوراه في دراسات المرأة والأدب الأميركي من «جامعة أيوا» الأميركية الكتابة بانتظام بعد نكسة 1967. إذ اكتشفت أن الهزيمة السياسية ما هي إلا انعكاس للهزيمة الحضارية، وأن النكسة هي «الثمرة لشجرة مهترئة تحتاج إلى العلاج لكي تبرا. المهزومون في الداخل لا ينتصرون. وحتى ننتصر على الخارج علينا أن نبدأ بالداخل... من أهل البيت، وبأهل الحكم، بقيم المجتمع وأربطته. ببناء الدار، بقواعد وجذور تربية الفرد، في عائلته، في مدرسته، في جامعته ثم الشارع. الأمّ تصنع من الأمة عجينة رخوة، والأمّ تجعل من الأمة مصنع فولاذ». تأملات خليفة في هزيمة حزيران ألهمتها كتابة عملها الكبير «الصبّار» (1976) الذي رصدت فيه تحركات الشارع الفلسطيني تحت الاحتلال من خلال الحكايات وقصص الناس والمناضلين والثوار. ورصدت فيها المرحلة الرومانسية الثورية و«تربية الأمل» على حد مقولة محمود درويش، من خلال شخصيات وسرد يتماشى مع نبض الشارع والقضية. واصطدام الثورة بالواقع المرّ و«انزياح غلالة رومانس الثورة عن الثوريين». خيبة أمل خليفة من قادة القضايا الكبرى في العالم العربي عموماً، رسّخت بداخلها أن معظم دعاة الثورة والتغيير ما هم إلا نسخة ممجوجة لجيل سلفي قديم يرتدي زيّاً حديثاً فحسب. وأنّ «قياداتنا الذكورية زائفة فاسدة تعيسة، وأنّ النساء الطليعيات بوضع بائس. وأن الثورة ثورتنا نحن، هي ثورة عقيمة ومحددة لأنها تتغاضى عن العمق أي الداخل»؛ بهذا الانطباع المتشائم، شرعت خليفة في كتابة عملها الثالث «عبّاد الشمس» الذي استكملت فيه التنقيب حول الجنس والعلاقات والحب والسياسة والتعقيدات والصراعات النفسية التي تعيشها المرأة العربية وهو ما توّجته في ما بعد في «مذكرات امرأة غير واقعية» (1986). لتحصد أعمالها التي كُتبت أثناء دراستها وعملها في جامعة بيرزيت نجاحات باهرة. إذ ترجمت «عبّاد الشمس» إلى لغات عدّة. كما تبنّتها منظّمة التحرير الفلسطينية في حينها واشترت حقوق إنتاجها مع «الصبّار» كمسلسل تلفزيوني ينقل معاناة الشعب الفلسطيني وتجدد وعيه بهويته رغم المآسي والمعاناة. استكملت خليفة حفرها في الذات السياسية والاجتماعية العربية في أعمالها الأخرى بعد انتفاضة 1987 من «باب الساحة» (1990) و«الميراث» (1997) لتكر سبحة الأعمال التي تطرح الأسئلة القلقة من الطفلة التي بدأت «خلف الجدران» واكتشفت أنها قادرة على الإبحار والطيران والمغامرة بأسلوب روائي حساس وشفّاف وممتع. رغم أنها تكتب بالعربية الفصيحة، فإنها تتنقّل برشاقة إلى استعارة العامية الفلسطينية وتعبيراتها الدارجة عندما يقتضي الحال في السرد: نالت سحر خليفة العديد من الجوائز العربية والعالمية اعترافاً بها كاسم لامع في الأدب العربي والفلسطيني. أهمها «جائزة البرتو مورافيا» للأدب المترجم للإيطالية، «جائزة ثيربانتيس» للأدب المترجم للإسبانية، «جائزة نجيب محفوظ» عن روايتها «صورة وايقونة وعهد قديم». و«جائزة سيمون دوبوفوار» التي رفضتها بسبب الموقف الملتبس ليوفوار وصديقها سارتر من الصهيونية ودولة الاحتلال: «بتّ نخلة ترتفع فوق الأسوار وتتمايل في رحاب الأفق فتعلو على الخوف، أو حلمت بذلك. وفي أحلامي أعلو على الذات وأرفعها وأقيم الدنيا وأقعدها وأقول الكلمة لوجه الله، لوجه الحقّ، ولو كان الثمن حدّ السكّين»

تقديم محمد ناصر الدين

حوار منير الحايك

■ لنبدأ بعنوان الكتاب «روايتي لروايتي» وهو الجزء الثاني، فهل هذا دليل على أننا لن نقرأ رواية أخرى لسحر خليفة في المستقبل؟

ــ بين الجزء الأول والجزء الثاني من سيرتي، كتبت رواية «الجسر». ربما لم تصلكم تلك الرواية لأنها طبعت في عمان ووزّعت في فلسطين، وكان هذا مقصوداً من جانبي. كتبتها كي أصفّي حسابي مع الرقابة الذاتية التي تعقيداً؟

ـ الأدب هو انعكاس للحياة، حياة الكاتب وهواجسه وكوابيسه، وتفاعلاته مع الأمم مجتمعه وأمنياته. هذه هي المدرسة الأدبية التي أنتمي إليها. لنسمّها مدرسة الأدب الملتزم. وأنا، صدقاً، لم أقصد الالتزام من أجل تسجيل موقف أو مواقف، فحياتي تحت الاحتلال وإيماني بوجوب مقاومة الظلم والضعف والتخلّف، دفعاني دفعاً إلى كتابة ما كتبت وما أكتب. فأي مضامين أو ثيمات أخرى، في وضعنا الحالي، تستحق الغوص فيها أدبيّاً وفكريّاً أكثر من المضامين التي استغرقتني، وما زالت، أي مضامين مقاومة الظلم والضعف والتخلّف؟ في وضعنا الحالي، تحت الاحتلال، والأوضاع العربية عموماً وما يعتريها من ضعف وتشرذم وتخلّف، أي مضامين أو ثيمات أخرى كالحب والموت والغيرة ونزوات النفس البشرية وإلخ إلخ، وما يكتب عنه الكاتب في العادة، تبدو لي، في وضعنا الحالي، ثانوية، وربما ساذجة وسخيفة. هناك أولويات، فحين تتعرض حياة الإنسان للنكبات والكوارث، من الصعب أن يهرب من واقعه إلى رفاهية الثانويات التي ذكرت. هكذا أفهم الحياة، قد أكون محدودة الفكر والمنظور، لكني لست ساذجة ولا قاصراً. أنا أعيش الواقع وأختار منهجيتي وأولوياتي بعد تفكير وتأمّل. وقد اخترت طريقي، طريق مقاومة الظلم والضعف والتخلف على كل المستويات السياسية والاجتماعية. ولا أعتقد أني سأحيد عن ذلك.

■ اختيارك لصفة «الختيار» للحديث عن ياسر عرفات، هل يمكن أن نعتبرها توجيهاً غير مباشر منك للقارئ المناوئ له ولقراراته وسياساته بأن يعود ويتقبّله من خلال هذه الصفة «اللطيفة»؟

لا أبداً. أنا لم أدافع عن سياسات عرفات وقراراته. كما لم أشوّه أو أتنكّر لسيرته النضالية وتطلعاته. حاولت أن أضيء على جوانب مسيرته المختلفة وقلت مؤكّدة في هذا النص، أقصد في «روايتي لروايتي»: «أحياناً أصاب، أحياناً أخطأ، وعليّ أن أكون منصفة وأمنحه الصورة التي يستحق ولا أنكر فضله». قلت ذلك، وحاولت فعل ذلك، ولا أتنصّل ممّا قلت ومما فعلت. وصفة «الختيار» لم أكن من اخترعتها أو روّجتها، فمذ عرفت عرفات والتقيت به، وحتى قبل التقائي به، كانت هذه الصفة موجودة في الأجواء الفلسطينية ومتعارفاً عليها. ربما بدأت هذه الصفة كاسم حركيّ أو سرّيّ للتغطية، لكنها انتشرت وانفتحت وباتت بديلاً عن اسمه. فحين نقول «الختيار»، نفهم فوراً أنه عرفات بالذات وليس أي ختيار آخر. وكان عرفات يستعذب ذلك لأنها، على ما أظن، تمنحه صفة الوالد وكبير العائلة أو المختار. نحن شعب أبويّ قرويّ بالفطرة، وهذه الصفة، والصفات المشابهة، ما هي إلا ملمح من ملامح ثقافته وتجلياته.

■ موقفك من الحركات الإسلاميّة كما وصفتها واضح منذ بداياتك في العمل الاجتماعي والنسوي. برأيك هل وصلت تلك الحركات بعد ما مررنا به، إلى إثبات فشلها وبالتالي نهايتها؟

نعم، الحركات الإسلاموية المتطرفة مثل «داعش» و«النصرة» و«أحرار الشام» وغيرها ممّن ابتلانا الاستعمار الغربي بها وأنشأها وموّلها وتبنّاها، وما زال، هذه الحركات أثبتت فشلها السياسيّ والاجتماعيّ، لكنّها للأسف لم تبلغ نهايتها. انظر إلى ما يحدث في شمال سوريا وبعض أنحاء العراق وكذلك الخلايا النائمة في الأردن وفي دول إسلامية أخرى عربية وأجنبية. هذه الحركات ما زالت موجودة تتحرك بمشيئة خارجية كلما أملت عليها الإرادة الغربية، وحتى تركيا، القيام بذلك. أمّا الحركات الإسلامية المعتدلة والمقاومة للاحتلال والاستعمار وفساد الحكّام، فلم تثبت فشلها ولا نهايتها، بل على العكس، فهي حالياً تتصدر مشهد المقاومة في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين واليمن وغيرها، ومن لا يرى محاسنها وأفضالها، فهو إمّا حسود أو مكابر أو أعمى. وعلى الرغم من حذري الشديد من مواقف تلك الحركات من المرأة وتمسّكها بقيود التشريعات والاجتهادات الدينية في ما يخص فرض الحجاب وتفضيل الرجل على المرأة في حقّ البنوّة والميراث وتعدّد الزوجات وما ملكت الأيمان، إلا أني من ناحية قومية ووطنية لا أنكر فضلها. انظر إلى الجو العام في العالم العربي، فأين اليسار؟ أين اختبأ العلمانيون؟ أين الأحزاب القومية والماركسية التي كانت تتصدر المشهد السياسي والفكري والاجتماعي في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات؟ ربما بقيت بعض بؤرها هنا وهناك، لكن أين زخمها وفعاليتها؟ كما لا بدّ من أن أنوّه هنا، كباحثة اجتماعية ميدانية، أنّ المدّ الإسلامي بحلاواته ومراراته قد وصل إلى المستويات الشعبية كافة، بعكس المدّين القوميّ واليساري. وهذا في الحقيقة لا يسعدني، لكني لست مكابرة ولا عمياء. وفي حالتنا هذه، في ضعفنا وتشرذمنا وتراجعنا، أجد في الحركات الإسلامية التي تتصدر المقاومة على المستوى الوطنيّ والسياسيّ أحد مصادر قوّتنا التي لا بدّ من أن نتحالف معها ونعاونها، وإن أنكرناها فمن يبقى؟ قل، من يبقى؟

■ تحدّثت عن روايات عدة وأسباب كتابتها الفنية والاجتماعية والسياسية... ألا تعتقدين أنك تأخذين من النقاد والدارسين أدوارهم؟

لا، لا أعتقد ذلك. النقد مدارس، وللدارسين وجهات نظر مختلفة. فالنقد يعتمد على التأويل والتفسير. وكل ناقد أو دارس له تأويله الخاص وتفسيره، له وجهة نظره المختلفة أو المتفقة مع الآخر. أنا فقط ألقي الضوء على خلفيات كلّ رواية. وما أفعله استمرار لقناعتي بوجوب كشف المستور سياسيّاً واجتماعيّاً. وهذا حقّي. فمن يستطيع أن يمنعني من ممارسة حقّي؟ أنا مواطنة قبل أن أكون أديبة، وأنا باحثة اجتماعية ودارسة أعتمد المنهج العلميّ في الشرح والتفسير ولا أكتفي بالتنويهات والرموز الأدبية. وأعرف أن تأويلات البعض النقدية قد تنحاز أو تبالغ أو تتجاوز. وهذا حقّهم. لكني وددت، من خلال شرحي لخلفية كل رواية، أن أبيّن أهدافي ومقاصدي الاجتماعية والسياسية. فمن أراد الإفادة مما فعلت فأهلاً وسهلاً، وإلّا، فمن أنا حتى أصادر حق الآخرين في التفسير والتأويل؟!

■ بالنسبة إلى حديثك عن رواياتك الثلاث الأخيرة، وصفتها بأنها مرحلة أدبية جديدة، ولكن ما الجديد الذي أضافته إلى مسيرة سحر خليفة؟

أضافت لي معرفة أوضح وأعمق بتفاصيل تاريخية كانت غائبة عني، أو مضلّلة كما ضُلّل معظمنا. نحن ورثنا كمّاً هائلاً من التفسيرات التبريرية لنواحي قصورنا وتخلّفنا. تفسيرات إعلامية وحتى تاريخية لأناس مكابرين لا يتحلون بالجرأة وتبنّي منهج البحث العلمي الحياديّ، واكتفوا بوضع اللوم على اليهود والاستعمار الأوروبي ومن بعده الأميركي، وبرّروا لهزائمنا التي هي في الأصل نابعة منّا، أي أنّ هزائمنا هي النتيجة الحتمية لما في بنيتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ضعف وهلهلة وتخلّف. فلو كانت بنيتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية قوية وقادرة، هل كنّا وقعنا في هذا البلاء؟ لو كان قادتنا وسياسيّونا أقلّ جهلاً وأنانية وعنجهية هل كنّا وصلنا إلى هذا الانحدار والتشرذم؟ أنا لا أقصد فلسطين فقط، بل العالم العربي انظر ما يحدث في العراق، انظر ما يحدث في السودان، وما حدث ويحدث في لبنان وغيره وغيره. من المسؤول عن كل ذلك؟ ألم يخطر في بالك، على سبيل المثال، أنّ صدام حسين كان المسؤول الأول عمّا جرى للعراق، وأنه بسبب عنجهيّته وغروره وجهله، أوقع بلده في كارثة دموية تدميرية ما زال يعاني العراق منها حتى الآن، وربما سيظل يعاني من آثارها لعقود تالية طويلة؟ صدّام حسين كانت لديه مراكز أبحاث استراتيجية وعلماء في كل الميادين العلمية والاقتصادية والاجتماعية، مع ذلك لم يستشر أي خبير أو متخصّص حين شنّ حرباً على إيران وألحقها بغزو الكويت ورفض كل الوساطات والتحذيرات وتشبّث بقراره المستبدّ الواحد والأوحد. هذا مثال من أمثلة، وهذا المثال ينطبق على كلّ قطر عربي بنسب متفاوتة، وطبعاً لا أنسى ما قامت به السلطة الفلسطينية حين وقّعت اتفاقية أوسلو والخراب الذي أوقعته وجاءت به. المهمّ أن مسيرتي الأدبية التجريبية التي اعتمدت فيها الرجوع إلى التاريخ ومحاكاة وقائعه، عزّفتني بالكثير من تفاصيله وأفادتني، وأيضاً أفادت البعض حين استرجعوا تفاصيل ما كتبت عن عبد القادر الحسيني وقبله القسّام ومن بعدهما أنطون سعادة. كثيرون ممّن قرؤوا أعمالي الثلاثة علّقوا بقولهم: غريب، لماذا لم نكن نعرف هذا! إذن استفدت، وبالتالي أفدت.

■ تجربتك في ترؤّس لجنة التحكيم لجائزة «البوكر»، ماذا أضافت لك، وماذا كشفت لك حول مسار الرواية العربية المستقبليّ؟

لم تضف لي شيئاً سوى أنها أخذت الكثير من وقتي. ربما تكون مسيرة البوكر بشكل عام قد أفادت الرواية، وهذا للحقّ صحيح ويحتسب لها، لكنّها لم تضف لي شيئاً أتعلّم منه أو أستمتع به.

■ في الختام، هل هناك رواية جديدة أم ننتظر الجزء الثالث من «روايتي لروايتي»؟

الرواية فنّ وفكر ومزاج، وما لم تختمر أحداث الرواية وشخصياتها في ذهن الكاتب ومخيّلته، فمن الصعب إفراز رواية صادقة فنّياً وإنسانياً. انظر حولك، ولا داعي لذكر الأسماء. لدينا الآن في الساحة الأدبية روايات فاشلة تعتمد الكثير من الثرثرة واللغو وتعبئة الصفحات، عشرات الصفحات، بالكلام المكرور الفارغ، كتبها روائيّون كبار استكانوا إلى موقعهم الأدبي وشهرتهم وأصابهم الغرور فاعتقدوا أنّ كل ما يكتبونه لا بدّ من أن يكون درراً أدبية وفنية. وأنا أعتبر ذلك حماقة وسذاجة. فحين أقرأ رواية جديدة لكاتب كبير وأجدها فارغة وسخيفة، أنقم على الكاتب، لأنه جشّمني شراء رواية لا تستحقّ ثمنها والجهد المبذول في طباعتها وقراءتها. وأنا حريصة على عدم فعل ذلك، أي كتابة رواية فارغة المضمون مليئة بالحشو وهذر الكلام. فما لم تكن لديّ رواية مختمرة بشخوصها وأحداثها وفكرتها فلن أكتب مهما كثرت مطالبات القراء والنقاد. أنا الآن في حالة جمود وترصّد. وما لم أجد الفكرة والشخوص والمضامين المناسبة فلن أكتب.

سحر خليفة: لو كان قادتنا أقل جهلاً وأنانية وعنجهية هل كنّا وصلنا إلى هذا الانحدار والتشرذم؟

> كباحثة اجتماعية ميدانية، أنوّه بأن المدّ الإسلامي بحلاوته ومراراته قد وصل إلى المستويات الشعبية، بعكس المدّين القوميّ واليساري

> أذكّر كيف بدأنا كثورة فلسطينية بالكفاح المسلح حين كنّا في الطريق الصحيح. حين كتبت «الجسر»، لم تكن كتائب المقاومة قد بدأت أنشطتها في الضفة بعد، وكنت أتمنى أن يحدث ذلك ونعود إلى نهج الكفاح ولا نستسلم كما فعلت سلطة أوسلو. وحين بدأت المقاومة ثانية وأخذت تشتدّ، اطمأنّت وهدأت، وعدت لاستكمال السيرة في جزئها الثاني. رواية «الجسر» كانت بين الجزأين الأول والثاني. وهذا ما قد أفعله ثانية.

ترجمة

أدريان ألوي غيورغي: مجد الشّفقة

ولد أدريان ألوي غيورغي في عام 1958 في رومانيا. في عام 2004 حصل على درجة الدكتوراه في فقه اللغة. نشر مجموعة من القصائد للمرة الأولى عام 1974 في مجلة «كرونيكا». صدر ديوانه الأول «احتفالات خبيثة» عام 1985. واصل كتابة القصائد، ونشر ديوانه الثاني «قصائد بالأبيض والأسود» بعد ذلك بعامين. ثم تتابعت مجموعاته الشعرية: «حميمية الغياب» (1992)، «أغاني لدفن الأحياء» (1993)، «أخي، الغريب» (1995)، «الناجي وقصائد أخرى»، «تيتانيك سوايزر»، «التواطؤ»، «جالوت»، «الملاك المخلوع»، «الغريب»، «الرجل العجوز ومارثا»، «رومانيا في متناول الجميع»، «مجد الشفقة»، «ما الهدف من العيش في رومانيا؟»، «الشباب بدون شيخوخة والشعور المأساوي بالوقت»، «الأب جاستن بارفو وأخلاق الحياة المكتسبة»، «الجسر»، «قصائد مختارة»، «مع آلاب جاستن بارفو حول الموت، التضحية والحب»... قاد السلسلة الأدبية «شباب بلا شيخوخة» وعمل في مجال التدريس. كما شغل مناصب قيادية، كمدير لمفتشية الثقافة في مقاطعة نيم. تعامل مع أهم المجلات في البلاد. وهو من المؤسسين للعديد من المنشورات الأدبية في مدينة نيامت. واعترافاً بمزاياه ومساهماته، حصل على الجائزة الوطنية لاتحاد الكتاب الروماني ووسام الاستحقاق الثقافي برتبة فارس وضابط. من إغواء الواقع اليومي، ابتدع أدريان ألوي غيورغي منهجاً خاصاً للخروج من المشترك. إذ تمكن بموهبة، أن ينتقل من المبتذل، من حياة كل يوم، ليجعل لغته تضيء برمزية شفافة لا تعوزها «وقاحة السرياليين». العالم الذي ينسج خيوطه تعبره مسحة ساخرة لا تخطئها العين، إذ يستطيع بسهولة أن يعبر بين عالم من المرايا، المشوّهة والفاتنة، المليئة بالخدوش والآهلة بالصور والأسماء التراثية، تجعل من الكوة «التي ينظر من خلالها إلى العالم تتمتع بشفافية» أكيدة. أدريان ألوي غيورغي يفهم العالم على أنه كتابة إلهية، وهو ليس مستعداً بعد لفصل نفسه عنها بالنسيان - بمجرد إعادة إنشائها من خلال الشعر. شعر العالم. يضع الشاعر هذا التحذير في مستهل أحد كتبه: «إنه منزل مليء بالقصائد». وهذا التنبيه شديد الدلالة، إذ يخبرنا عن المصادر التي يمكن أن نستعير منها الشعر، ممثلة في اليومي، والحوار العابر الذي يجري بين كل الناس، ولا يمكن أن نتوقع منه أن يحملنا إلى مقام غير التواصل وإبلاغ المعنى: «جاء طفل الجار/ ليستعير قصيدتين/ «فقط حتى الثلاثاء»، قال أبي!».

ترجمة وتقديم **محمد العرابي**

أحببت القدم حينما لم أكن أعرف
أنّها
قدم
وبشرة البدين أحببتها
حينما لم أكن أعرف أنّها تشبه
ورقة صبّار رماديّة
أحببت القلب، يا إلهي! كان يقفز
بين
أضلعي مثل مصاب بالصرع،
مثل ضفدع مصعوق على مهل
مع جذور
النّعناع،
مع خيطين من موسيقى،
عضّت لساني والفيت مذاقه
لذيذاً
ابتلعت دموعي
وبدت لي كأنّها حبّات عيون
كأنّها أهداب عيون ثقيلة للغاية
عبرها، ليل نهار، تغادر الأوهام
العالم
وفي هذه اللّحظة صادفت أوّل
إنسان.
مخلوق
يشبهُ الشّمس التي تخرج
صباحاً من الرّمل عن طريق هزّ
الشّرائط التي تحملها في
خصلات شعرها
وبعدها تزاوج
مع كلّ الحيوانات.
مخادع مثل الأهرامات التي
تلهي الموت بأسرارها،
ولقد وبّخته:
المجد للشّفقة!
وبّخته: كيف أمكنك ربط كوكبتين
من نجوم الدّم
بهذه العروق الشّبيهة بأسلاك
الحديد؟
كيف تسمّي المطر
إذا لم تكن تعرف إلّا اسم
ماء ديدان الأرض في دلو القمر؟
ماذا نسمّي الشّجرة؟
شجرة.
ماذا نسمّي العشب؟
عشباً.
ماذا نسمّي الماء؟
ماء.
ماذا نسمّي الخمر؟
خمراً.
ماذا نسمّي اليد؟
يداً.
ماذا نسمّي الفم؟
فماً.
(وفي وقت لاحق، جالساً
كوحوش
متخمة شبعاً بقطعة لحم ممزّقة
أشلاء
يمكنه أن يفسّر لماذا يكون الشّعور
بالياس المستجدّ تخريبياً:)
ماذا نسمّي الحياة؟
تراوامي.
ماذا نسمّي الموت؟
تراوامي.
ماذا نسمّي الحبّ؟
تراوامي.
ماذا نسمّي الزّمن؟
تراوامي.
ماذا نسمّي النّسيان؟
تراوامي.
ماذا نسمّي الضّحك؟
تراوامي.
حسناً، لنوجز.
ماذا نسمّي السّنّ؟
خبزاً.
ماذا نسمّي الحزن؟
قرطاً.
ماذا نسمّي القدر؟
سجيناً.
ماذا نسمّي الرّجل الّذي يرفل في
أردافه؟
قمراً.
وماذا عن البشرة التي لا تخدشها
بثرة؟
راية.
وماذا عن ذلك الذي يغادر؟
صيّاد سمك!
مجد الشّفقة مجد الشّفقة مجد
الشّفقة
كذا عبور كريه الرّائحة مثل
الكلمة الفاسدة
مثل العجينة المائلة إلى الصّفرة
الّتي تسبح فيها الجوهرة
الّتي لم تلمع أبداً لأجل الحقيقة
منذ أن استعمل الإنسان الكلمات
مكان الخبز لم يعانق بعد ذراعا
الضّليب
نفسهما أحداً.
أخذت صلاة
شكل جسد
في طرفه أعرف:
لقد وهبت لك الحياة بطولها كي
تقطع عنق بجعة.
مجد الشّفقة مجد الشّفقة مجد
الشّفقة
إذا لم تركب أيّ مجازفة، في
المعرض الشّعبيّ
تستطيع أن تربح، عن طريق
تدوير عجلة الحظّ،
هذا المصباح المصاب بتشنّجات
عصر هذا اليوم في القبو الغارق
بالماء
هذا الشّيطان الذي تمتطيه
منفرج السّاقين
كي تذهب إلى السّوق.
من المهمّ حقّاً ألّا تسأل لماذا
تملك العناية ذراعين قصيرتين
شبيهتين بذراعي طفل.
أسمعه يصفق باليدين، غامراً
بالإثارة،
إزاء أغنية يسلخها جناح فراشة
بصورة منهجيّة
ويقطّع الكون بأسره إرباً إرباً
القطعة الأولى هي الأصعب
الجناح يزداد حدّة مع كلّ جرح
يصبح نحيلاً للغاية بحيث
يختفي في الفجوة
التي تعاد إلى ما لانهاية.
المجد للشّفقة المجد للشّفقة المجد
للشّفقة
لثوان مع غضاريف أرمي إلى
الجمال
كي يتركني أمرّ
عيناً بسنّ
موتاً بليال، نجومها منتفخة
بكثير من الأبديّة
سنّا
بدموع تتزحلق عليها روح
ولحمي سأرميه للجمال
وسامزّقه قطعةً بعد قطعة على
عظامي
حتّى أنّي سأسحق العظام في
النّهاية
وإذا وضعتها في الصّباح
على طريقه كطعم كي يقول لي
فقط كي يقول لي
إن كنت أستحقّ كلّ ما أبدّده
إن كانت غضاريف الأحلام
لا تصبح صلبة في لحظة معيّنة
حدّ
أن أبقى متجمّداً بين عالمين
كالله
مشبّكاً وسط خيوط الأمواج
بين النّوافذ التي يبصق بعضها
على بعض
بكلّ الألوان البرّاقة
بكلّ الكلمات الميّتة.

النص مأخوذ من أنطولوجيا «الأدب والمنفى» لـ «المهرجان الدولي: نهارات وليالي الأدب»، اتحاد الكتاب الرومانيين

قصة

حبة زهرية (*)

منى مرعي

تتحدث بالـ«قاف»، بـ«قاف» مفخمة. تواظب على ذلك رغم تركها بتاتر منذ أكثر من أربعين عاماً، ورغم أن أولادها جميعاً وكل من يحيط بها تمرّسوا مع الوقت بلهجة بيضاء. تطرق يومياً بابنا الملاصق لباب منزلها وتدعو والدتي إلى شرب فنجان قهوة على شرفتها. تفضل دائماً شرفتها. كانت الأوسع بين شرفات المبنى.

والدي أيضاً يتحدث بالـ«قاف». ولكن استخدامه هذا الحرف كان موسمياً ومشروطاً بالمكان أو الأفراد، كسائر الدروز الذين تركوا قراهم منذ سنوات ولجؤوا إلى بيروت، فتحولت لهجتهم إلى لهجة «مدينية» سرعان ما تتبدل بتبدل الأمكنة أو الأشخاص. والدي مثلاً لم يكن يتذكر لفظ «القاف» إلا في رملة البيضا عندما يلتقي بإخوته أو عند الصعود إلى الضيعة، بخلاف أم عماد التي حافظت على «قافها» أينما ذهبت وأيا يكن من يحدثها. كانت تستمد من هذا الحرف قوة ما تضيفها إلى سجل جبروتها. امرأة يهابها الجميع. لم يكن مسموحاً لنا دخول منزلها. لم يكن حتى مسموحاً لأحفادها دخول منزلها إلا بشروط: الهدوء، عدم اللعب، عدم الصراخ، عدم إحضار الأصدقاء، عدم فتح البراد، الامتناع عن الطعام في الصالون وغرفة الجلوس وغرف النوم. لمس التلفزيون ممنوع، والأمر نفسه في ما يتعلق بالراديو. ممنوع المسّ بالـ«زريعات» وخاصة الغاردينيا... قطف وردة من ورداتها قد يرتب تقريعاً شديداً. وأحفادها كثر ومن أعمار مختلفة. معظمهم عاش فترة يسيرة من حياته هنا، في هذا البيت. حين توفيت كنت أرتدي فستاني الأصفر.

عدت من سهرتي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكنتُ سيارتي في الممرّ الذي يبعد شارعاً من منزلي، ومشيت بصندلي الذهبي، وطلاء الأظافر. استخدمت المصعد. تركت وجهي الأحمر بسبب مفعول النبيذ في المرآة، وخرجت لأجد باب أم عماد مفتوحاً. لم أعلم ماذا أقول لوالدتي. لن أتصل بها لأبلغها أن أم عماد توفيت. التقيتها نهار الجمعة هي تحكم إقفال بابها بقفلين مزدوجين. ترتدي «تابيرها» الزيتي المزخرف ببعض الورود. طلبت مني أن أقطع خبط الفستان المتدلّي من أسفل كتفها ثم وقفت أمامي تلك الوقفة التي تسألني فيها إن كان الفستان لائقاً بزهوره من دون أن تطرح السؤال.

اليوم هو فجر الأحد.

الرجال يجلسون على الشرفة ويعدّون متطلبات المأتم والعزاء. على تلك الشرفة كانت تمشي، ذهاباً وإياباً، حتى طلوع الفجر. تهرع إلى حافة الشرفة مع هدير كل سيارة. تترك تلفازها الصغير مضاء في غرفة الجلوس. تنتظر نشرة الأخبار، تسمع قليلاً منها ثم تخرج. تمشي ثم تمشي ثم تمشي. تمرر نظراتها على «زريعاتها» التي احتلت طرفي الشرفة. لا جديد في النشرة. حانَ وقت المسلسل المكسيكي. إنها الإعادة الثالثة اليوم. تنظر إلى الساعة، لم يغلبها النعاس بعد. النساء يجلسن في صالونها الواسع. لم يتسنّ لحفيداتها ارتداء الأسود بعد. رغم ذلك، كان الجو القاتم يجتاح المكان باستثناء فستاني الأصفر الفاقع الذي بدا خارج سياق متناسق من الألوان.

اليوم، تبدو صورة «توفيق» بكل درجاتها الرمادية والبيضاء والسوداء أكثر نفوراً في منتصف الحائط. سترتسم صورتها بقربه... وستكون صورة بالألوان.

كلما ذكرته، كانت تذكره باسمه؛ توفيق، بقافها المفخمة. اما هي، فلم يعرفها أحد إلا بكنية «إم عماد». ربما لأن توفيق توفي قبل أن يبلغ من العمر ما يثقل أذانه بالكنى. وربما لأنها أحبت أن تسميه باسمه. توفيق، حاف، بقاف مفخمة. في الحر الشديد، كانت تجلس على العتبة. تضع كرسياً يسند بابها وتطرق بابنا. «راوية دخيلك، خلي بابك مفتوح ليلعب الهوا شوي». وتجلس، بتفريعتها الصيفية، والمروحة اليابانية. حارسة الطابق السادس. تحيي الطالع والنازل وتقيم صحياتها وعصروناتها في المسافة الضيقة بين الباب وزاوية الدرج. متران يتسعان لبناتها وحفيداتها وجاراتها وفناجين القهوة ولأراجيل بناتها. أحياناً كانت تجلس وحدها لساعات. على كنبتها الخاصة، حتى تمل من الليل ويمل الأخير منها. تمشي. تهذي بصمت بين زريعاتها: لن تتمتم، ولن تخرج أي كلمات... إلا تلك التي تقبل بها براعم الغاردينيا. لا يجب أن يخرج هذا الهذيان الذي في رأسها والذي لن يعرف به أحد. فكرت في أحيان كثيرة أن تحدث الغاردينيا عن هذيانها هذا، لكنها خافت عليها من الذبول... تشغل نفسها بهدير سيارة من هنا أو بمواء قطة من هناك. تسقي «الزريعات» قبل أن تشق الشمس حافة شرفتها. أشعة الشمس ترسم خطوطاً على باب المطبخ، والنوم لم يأت بعد. ملّها الريموت كونترول.

لم تنفع الحبة الزهرية.

مرة دخلت علينا بكيس أدوية وطلبت من والدتي البحث عن الحبة الزهرية. لم يسعفها بصرها. «مش قاشعة يا راوية»، كانت تغضب بسرعة فائقة ثم تهدأ. هكذا كانت كل أيام أم عماد... لحظات كثيرة من الغضب تليها لحظات كثيرة أخرى من الهدوء. لا أذكر شكل عماد... ولا أذكر إن كنت التقيته يوماً ما. ولا تنطبع في مخيلتي أي أحاديث بصمت بين زريعاتها: لن تتمتم، ولن تخرج أي كلمات... إلا تلك التي تقبل بها براعم الغاردينيا. لا يجب أن يخرج هذا الهذيان الذي في رأسها والذي لن يعرف به أحد. فكرت في أحيان كثيرة أن تحدث الغاردينيا عن هذيانها هذا، لكنها خافت عليها من الذبول... تشغل نفسها بهدير سيارة من هنا أو بمواء قطة من هناك. تسقي «الزريعات» قبل أن تشق الشمس حافة شرفتها. أشعة الشمس ترسم خطوطاً على باب المطبخ، والنوم لم يأت بعد. ملّها الريموت كونترول.

لم تنفع الحبة الزهرية.

مرة دخلت علينا بكيس أدوية وطلبت من والدتي البحث عن الحبة الزهرية. لم يسعفها بصرها. «مش قاشعة يا راوية»، كانت تغضب بسرعة فائقة ثم تهدأ. هكذا كانت كل أيام أم عماد... لحظات كثيرة من الغضب تليها لحظات كثيرة أخرى من الهدوء. لا أذكر شكل عماد... ولا أذكر إن كنت التقيته يوماً ما. ولا أعرف كيف تصرفت أم عماد حينها. لا يوجد في ذاكرتي أي تفصيل مرتبط برد فعلها... لا تسعفني أي صور من الذاكرة في ذلك رغم أن باب منزلها كان ملاصقاً لمنزلنا. لا أذكر أيضاً ماذا فعلت حين خطفت ابنتها نوال. كان الحديث عنها بين وقت وآخر مرتبطاً بدعائها على شلة زعماء البلد. لم تكن لتتشارك صورهما في كل مكان ولم تكن تبكيهما أمام أحد. لم تتحدث يوماً عن ابنتها سهام التي فقدتها في حادث سير في أوائل السبعينيات. كانت تمضي أيامها بين باب المدخل والبلكون. في يوم من الأيام، طرقت باب المنزل. كانت تعاني من «لفحة هواء ضربت كتفها». بالكاد كانت تستطيع الكلام. كانت يائسة وتحتاج إلى مساعدة قصوى. تلك هي المرة الأولى التي بدت فيها ضعيفة. طلبت مني حينها أن أنقذ يمامة عالقة على خشبة صغيرة وضع عليها سائل لاصق... إنه فخ للفئران الذي وضعته في البلكون. هكذا قالت لي... يمامة عالقة على شرفتها في فخ فئران. لم تستطع الانحناء بسبب كتفها. انحنيت بدلاً منها... وضعت الخشبة على حافة الشرفة وأطلقت اليمامة... أخذت تلك الأخيرة وقتها قبل أن تطير. نظرت إليّ، نظرت إليها، ثم طارت، وبقيت أم عماد تجوب شرفتها ذهاباً وإياباً.

(*) قصة مجتزأة من مجموعة صدرت حديثاً بعنوان «شياطين الدومينو» (دار النهضة العربية . بيروت) للبنانية منى مرعي

جميل ملاعب ـ «عاليه» (غواش ـ 2002)

شذرات

قلنا نجرّبُ هذا الكلام

جمال المعتصم بالله

1.

يا لَنا يا لنا في هذا السبت من أوائل أبريل، نحن سعداء برؤية الشمس. ارتديْنا ملابس العيد تحت معاطفنا الشتوية وخرجنا برؤوس عارية، مُعوّلين على الشمس لِتنقيةِ الأنهار والبحار في أفكارنا، ومعوّلين على الهواء الصّحو لمساعدتنا على «العودة إلى البيت».

2.

فصل الشتاء، هنا، فصلٌ شماليّ طويل، فصلٌ مغلقٌ، فصل النهارات الثقيلة والسهرات الغليظة القلب، فلا نعود نعرفُ كيف نخرج ولا كيف ندخُل.

3.

ويا لَنا هنا، نحن الأفارقة. لَنا قلوبٌ ضاحكةٌ نخبّئها تحت المعاطف حتّى لا تذوب في البرد، ولنا عضلاتٌ نضعها رهنَ إشارة العائلة — هناك، ورهن إشارة سوق الشغل، وذلك في ظلّ حقوق اجتماعية لم نرها من قبلُ، وفي حمى حرّيات فردية لم نرها من قبل.

ويا لَنا.

في الليل نخرج إلى الشغل، وفي الصباح الباكر نخرج إلى الشغل، وفي المساء نخرج إلى الشغل، وفي الويكاند نخرج إلى الشغل.

ويا لَنا.

نَضحكُ من شدّة التعب، ونرقص من شدّة الجرح، ونتبادلُ الأنخاب والأطايب، وعندما يأتي وقتُ الغناء لا ننسى أحداً.

يا لَنا.

إنّنا نبقى شباباً ونشيطين حتّى ولوْ كنّا قدامى هنا.

ويا لَنا.

بعد شهر أو خمسة أسابيع، يذهبُ الشتاءُ إلى مدينة أخرى ونحنُ نبقى.

4.

ماذا يقولون لي بعد الشتاء، ماذا يقولون لي بعد الصمت البارد، ماذا يقولون بعد كلّ هذا الحبّ.

5.

يا أيّها الجالسون في القلب، يا الذين جاؤوا إلى الحبّ منذ زمان، تعالوْا لنستريح قليلاً منَ البرد.

6.

ووقفتُ أنظرُ. هَا لُمُدُنُ الشمالية التي تُحيينا وتقتلنا، هَا لمساكنُ القصيرة، هَا الشُغلُ بالليل وهَا الشُغلُ مرّتيْن، هَا لغيومُ وهَا لمطاراتُ، وها نحنُ ننتظرُ، ومعنا صديقنا: المنفى.

7.

يا أيّها الحنين، لا تذهب إلى غاباتنا، ذهبنا هناك ولم نجد شيئاً تغيّر.

يا أيّها الحنين، لا تذهب إلى الشتاء، ذهبنا هناك ولم نجد معطفاً.

8.

بتاريخنا وأشجارنا جئنا، بعضلاتنا وأعصابنا، ببناتنا وأبنائنا، نساءً ورجالاً جئنا، أطبّاءَ ومهندسين وتقنيّين وممرضين ومعلمين وجامعيّين وبشهادات عليا شتّى جئنا، مهاجرين ومهجّرين جئنا.

وجاء معنا أُمَيّون وفُشالى وسُذّج وكُسالى ومُتزمّتون وسُكارى.

وكان في استقبالنا فاتناتٌ ومنتزهات وحُرّيّات فرديّة وابتسامات إداريّة لم يسبق لنا أن رأيناها وأناشيد وحقوق وواجبات محترمة. ومع ذلك كلّه، كان هناك جدارٌ - جدارٌ ضخمٌ ولهُ معنى: ظاهرٌ، جدارٌ ضخمٌ مُبلٍ، خفيّ بعضلاتنا وأعصابنا، ببناتنا وأبنائنا، نساءً ورجالاً جئنا، أطبّاءَ ومهندسين وتقنيّين وممرضين والطبيب للتمريض، والمعلّم للأشغال العامّة، والمهندس لقيادة سيارات الأجرة، والتقنيّ لأشغال البناء، والمرأة للأشغال الشاقة، والجامعيّ لحراسة السيارات وهكذا إلى أن يُصيبك يأسُ البداية من الصفر.

جدارٌ يقولُ: إنّك لم توجد من قبل ومرحباً بعضلاتك بعد ذلك.

9.

ارتبكْنا قليلاً في أوّل الأمر، ولكنّنا عُدنا فاستعدنا، بعد شهر. بعد عام. «بعد عامين وجيل»، أسماءنا وأرقامنا، وقُلنا: «لِمَ لا. نحن أولى بهذه الأشغال في انتظار أن تتحسّن الأحوال».

فاشتغلنا.

اشتغلنا في الليل والنهار وفي الثّعب، في السلاسل والدوائر والغضب، في محطات البنزين الرصاص والياقوت، في المزارع والمطاعم، في المصانع وفي البارات، في دور العجزة وفي المستشفيات، في سيارات الأجرة، في النقل العموميّ وفي مترو الأنفاق.

في أنظمة بروليتارية قديمة، وفي ملاعب الليبرالية المُملّة، اشتغلنا.

واشتغلْنا في المنفى واشتغلنا في ثُقاحته.

وها نحنُ انتبهنا قليلاً إلى أن هذا هو المنفى، فقُلنا لِمَ لا نُجرّبُ. على الأقل. هذا الكلام.

* مونريال/المغرب

مايكله ماكغاري ـ «اعذرني، بينما اختفي» (لقطة لابتة ـ 2014)

سيرة

سانتياغو بوستيغيو يتتبع «حياة الكتب السريّة»

خليل صويلح

يطبع سانتياغو بوستيغيو بطمأنينة تاريخ الكتب ومؤلفيها، باختراع سيرة موازية لهذا الكتاب أو ذاك لجهة السعادة أو الألم، كمن يروي حكاية لم ينصت إلى وقائعها أحد بمثل هذا التوثيق قبلاً. سيعبث بالترتيب الألفبائي لرفوف المكتبات، ليستلّ بعض أشهر الكتب ويروي تاريخها السرّي بجاذبية لا تتعلق بالمحتوى بقدر عنايتها بحياة المؤلف ونزواته.

في كتابه «حياة الكتب السريّة: ليلة قرأ فرانكشتاين دون كيخوت» (دار مسكيلياني - ترجمة عبد اللطيف البازي) يتتبع مخاض وولادة بعض الكتب مخلخلاً خط سيرها نحو سرديات مضادة بمشهديات قصيرة تختزل أسرارها الخفية ومكابدات «مؤلفي الظلّ»، أولئك المجهولون الذين أنجزوا كتباً ليضع آخرون تواقيعهم عليها بكل صلف وخيلاء، كما فعل الكسندر دوما مع أوغست ماكيه الذي كان يؤلف له رواياته مقابل مكافأة ضئيلة. كانت مخطوطة «الفرسان الثلاثة» الرواية التي حققت شهرة إضافية لروائي فرنسا الكبير الغارق في الملذات، واحدة من بين أكثر من مئة رواية تحمل اسمه، فيما بقي المؤلف الأصلي شبه مجهول.

في هذا السياق تُروى المفارقة التالية «ذات يوم، التقى الكسندر دوما ابنه في الشارع وسأله: هل قرأت روايتي الأخيرة؟ فأجابه: أجل قرأتها. وأنت؟».

على المقلب الآخر، يفضح صاحب «مَاء الكتب» تاريخ محاكم التفتيش في منع الكتب وإحراقها، ومواقفة الكنيسة في القرون الوسطى على إصدار دليل الكتب الممنوعة: «إن الهراطقة ما فتئوا ينشرون مزيداً من الكتب اعتماداً على الطابعة، تلك الآلة الجهنمية». كتب تحث على المروق مثل كتاب «لاثاريو دي تورميس» (1553) الذي لم تسلم من تهكّمه حتى «الثيران البابوية». سيبقى مؤلف هذا الكتاب الملعون مجهولاً إلى اليوم، إذ يُنسب إلى لائحة مؤلفين لا نهائية، بما يعني انتصاراً للأدب في المقام الأول، بصرف النظر عن دمغة مؤلفه الأصلي.

يتساءل سانتياغو بوستيغيو في مكان آخر: «هل كتب شكسبير أعمال شكسبير؟». بالطبع ليست المرّة الأولى التي يطعن بعضهم بصحة نسب «هاملت»، و«الملك لير»، و«روميو وجولييت»، و«ماكبث»، وأعمال أخرى، لشكسبير. هنا تنسب هذه الأعمال للشاعر والمؤلف المسرحي الإليزابثي كريستوفر مارلو برواية قصة عجائبية عن عراك خشن في حانة ينتهي إلى موت مفتعل لهذا المؤلف كي لا يُحاكم، فيهرّب بعربة إلى الميناء مغادراً لندن إلى أوروبا، ومن هناك كان يرسل نصوصه إلى صديقه، ولتبرير موت مارلو وقع اختياره على ممثل شاب اسمه وليم شكسبير ليوقع الأعمال باسمه. سيوافق شكسبير على العرض ما دام لا يملك ما يخسره. واقعة أم هذيان؟ هذا ما يحاول إقناعنا به مؤلف هذا الكتاب، نظراً إلى الشكوك التي تنفي قدرة شكسبير على تأليف كل هذه الأعمال العظيمة، وخصوصاً أنه لم يُعرف عنه أي تكوين معرفي. «ذات يوم، التقى الكسندر دوما ابنه في الشارع وسأله: هل قرأت روايتي الأخيرة؟ فأجابه: أجل قرأتها. وأنت؟»

رصد تاريخ محاكم التفتيش في منع الكتب وإحراقها

على المقلب الآخر، يفضح صاحب «مَاء الكتب» تاريخ محاكم التفتيش في منع الكتب وإحراقها، ومواقفة الكنيسة في القرون الوسطى على إصدار دليل الكتب الممنوعة: «إن الهراطقة ما فتئوا ينشرون مزيداً من الكتب اعتماداً على الطابعة، تلك الآلة الجهنمية». كتب تحث على المروق مثل كتاب «لاثاريو دي تورميس» (1553) الذي لم تسلم من تهكّمه حتى «الثيران البابوية». سيبقى مؤلف هذا الكتاب الملعون مجهولاً إلى اليوم، إذ يُنسب إلى لائحة مؤلفين لا نهائية، بما يعني انتصاراً للأدب في المقام الأول، بصرف النظر عن دمغة مؤلفه الأصلي.

يتساءل سانتياغو بوستيغيو في مكان آخر: «هل كتب شكسبير أعمال شكسبير؟». بالطبع ليست المرّة الأولى التي يطعن بعضهم بصحة نسب «هاملت»، و«الملك لير»، و«روميو وجولييت»، و«ماكبث»، وأعمال أخرى، لشكسبير. هنا تنسب هذه الأعمال للشاعر والمؤلف المسرحي الإليزابثي كريستوفر مارلو برواية قصة عجائبية عن عراك خشن في حانة ينتهي إلى موت مفتعل لهذا المؤلف كي لا يُحاكم، فيهرّب بعربة إلى الميناء مغادراً لندن إلى أوروبا، ومن هناك كان يرسل نصوصه إلى صديقه، ولتبرير موت مارلو وقع اختياره على ممثل شاب اسمه وليم شكسبير ليوقع الأعمال باسمه. سيوافق شكسبير على العرض ما دام لا يملك ما يخسره. واقعة أم هذيان؟ هذا ما يحاول إقناعنا به مؤلف هذا الكتاب، نظراً إلى الشكوك التي تنفي قدرة شكسبير على تأليف كل هذه الأعمال العظيمة، وخصوصاً أنه لم يُعرف عنه أي تكوين معرفي.

«ذات يوم، التقى الكسندر دوما ابنه في الشارع وسأله: هل قرأت روايتي الأخيرة؟ فأجابه: أجل قرأتها. وأنت؟»

ماريلو المزعومة.

سيحضر سرفانتس مرتين، وبصورتين مختلفتين، الأولى كسجين في أحد سجون أشبيليه، وهناك يطلب من حرّاسه تزويده بحصته الشهرية من الورق وريشة لكتابة الرسائل، إذ قرّر أن يكتب رسالة إلى الملك، لم يتلق ردّاً، فطلب حصة ثانية من الورق، ليكتب هذه المرّة رواية. وإلا سينتهي إلى الجنون لا محالة. لاحقاً، سيحل هذا السجن لوحة تذكارية، كُتب عليها «في مجمع هذه الدار التي كانت سجناً ملكياً، سُجن ما بين 1597 و1602، ميغيل دي سرفانتس سافيدرا، وهنا ولد الفارس الذي أدهش العالم وأمتعه، النبيل العبقري دون كيخوت دي لامانشا». أما الصورة الثانية لمؤلف «دون كيخوت»، فتحضر في سويسرا أثناء زيارة الكاتبة ماري شيلي وزوجها الشاعر بيرسي بيش شيلي إلى بيت صديقهما اللورد بايرون، الذي فرّ من بريطانيا بسبب من نزعته الثورية، صيف 1816. كان عليهم أن يصرفوا الوقت بقراءة الأعمال الكلاسيكية، وأبرزها ترجمة بيرسي شلي لتحفة سرفانتس «دون كيخوت». هبوب عاصفة منعهم من مغادرة المنزل، فاقترح بايرون على ضيوفه مسابقة تتعلق باختراع حكاية تندرج في روايات الرعب، لكن ما إن انتهت العاصفة حتى تجاهل الضيوف استكمال ما كتبوه في أدب الرعب وغادروا في رحلة إلى جبال الألب عدا ماري شيلي التي قررت إكمال ما كتبته في باب رواية الرعب، نقصد هنا روايتها «فرانكشتاين». سيكتشف النقّاد تأثرها بتقنية دون كيخوت وإحضار شخصيته في أحد فصول روايتها متوسلة التقنية السردية نفسها. هناك حكاية ثالثة تخصّ هذه الرواية، إذ قررت إحدى المكتبات الكبرى استخدام برنامج معلوماتي يحدد الكتب التي تستحق أن تظل على الرفوف من الكتب التي يجب سحبها «حسب معيار عدد النسخ المبيعة شهرياً»، فكان نصيب «دون كيخوت» إعادته إلى المستودع، وفقاً لمؤشر المبيعات، لكن إحدى الكتيبات الخبيرات استثنت هذا الكتاب من عمل البرنامج، إذ لا يجوز وضع مثل هذا الكتاب الفريد في المستودعات.

من جهتها، كادت جين أوستن أن تفقد الأمل بنشر روايتها الأولى «انطباعات أولى: إذ رفضتها أكثر من دار نشر، وبعد 16 عاماً على الرفض غامر أحد الناشرين بطباعتها، بعد تغيير عنوانها إلى «كبرياء وهوى»، وكاد دستويفسكي أن ينتهي إلى السجن بعدما تراكمت عليه الديون بسبب إدمانه على لعب القمار، لكنه سيعقد اتفاقاً مع ناشره بأن ينجز رواية جديدة خلال 26 يوماً، لسداد ديونه، فكان عليه العمل صباحاً على إنهاء سلسلة «الجريمة والعقاب» التي كانت تنشر أسبوعياً في صحيفة «البعوث الروسي»، وفي الليل يتفرّغ لكتابة روايته الجديدة «المقامر» بمساعدة شابة تعمل في الاختزال، ستكون زوجته لاحقاً، وستجد الروايتان نجاحاً كاسحاً ما جعله يصرف أمواله بلعب القمار مجدداً. «في الأعمال التخييلية كل شيء قابل للإصلاح» على هدي هذه الفكرة اضطر أرثر كونان دويل إعادة الحياة إلى رجل التحري «شارلوك هولمز» بعدما لقي حتفه إثر معركة حامية، استجابة لرغبة طوابير من القراء الذين رفضوا مثل هذه النهاية. بعد تفكير وجد الوصفة المناسبة لبعث شخص ميت إلى الحياة بلعبة بوليسية حافزة. سنستعيد هنا وصية كافكا بحرق مخطوطاته، إلا أن صديقه ماكس برود لم ينفذ رغبة كافكا، وإلا كنّا لن نتمكن من اقتفاء أثر أعمال خالدة مثل «المسخ»، و«المحاكمة»، و«أميركا». وفي المقابل اختفى عشرون دفتراً، وثلاثون رسالة، كان قد أودعها لدى صديقته درّة دايامون الملاحقة من «الغيستابو» النازي، فاتّسام مداهمة منزلها، صادروا تلك الدفاتر والرسائل، ما شكل «أكبر لغز أدبي على مرّ العصور». مطاردة من نوع آخر، كانت من نصيب الكسندر سولجينيتسين أيام الحقبة الستالينية، بعد نشر روايته «يوم واحد من حياة إيفان دينيسوفيتش» التي سمح خروتشوف بنشرها، لكن بريجنيف سيمنع كتبه اللاحقة: «يجب ألا يرى هذا المخطوط النور أبداً». والمقصود به «أرخبيل غولاغ» الذي هُرّب إلى باريس وصدر بالفرنسية، ولم تشفع جائزة «نوبل» له بالحصانة، إذ سُحبت منه الجنسية السوفياتية. وستلعب الطفلة أليس نيوتن، وهي ابنة ناشر «بلومزبري»، دوراً استثنائياً بنشر مخطوط «هاري بوتر والحجر الفلسفي»، إذ اعتادت أن تقرأ ما يحضره والدها إلى المنزل من مخطوطات قصص الأطفال، فاعجبت بهذا المخطوط غير المكتمل، وطلبت من والدها إحضار فصول أخرى منه. لن نكمل الحكاية، فقد أصبحت ج.ك.رولينغ من أشهر كتّاب الأطفال اليوم.

لمحات

جاك دريدا

يرفض الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (1930 - 2004) الفكر الذي يوافق دوماً على جميع الطروحات الفلسفية السابقة والمكرّسة، ويعتبره فكراً سلبياً قانعاً بإنجازاته ومتكاسلاً عن النقد البنّاء. في «أن تُفكر: أن تقول لا» الذي انتقل أخيراً إلى المكتبة العربية (دار الساقي» . ترجمة جلال بدلة)، يرى دريدا أنّ الفكر الحقيقي هو ذاك الفكر القلق النهم الذي لا يؤمن بسهولة بالمفاهيم والمعتقدات المترسّخة في الثّقافة والمجتمع. يقترح الفيلسوف أن «قول لا» يمكن أن يكون أكثر إيجابية بكثير من «قول نعم» ويدعو القارئ إلى التفكير بشكل نقدي والتشكيك في ثوابت الأفكار على أمل الوصول إلى الحقيقة. يستكشف العلاقة بين اللّغة والتفكير، ويؤكد أنّ اللّغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار فحسب، بل تُشكّل عالمنا وتتحكم بكيفية تفكيرنا وتلعب دوراً أساسياً في بناء الثقافة والمجتمع. يُعدّ هذا الكتاب مقدّمة قصيرة لكن فلسفية عميقة لفكر دريدا، وفرصة جيّدة لفهم أفكار صاحب النّظريّة التّفكيكيّة.

سامي البدري

يتصدّى كتاب «الموت والزمن الذاتي - البحث عن أدوات بحث جديدة» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر) لإعادة توجيه الجهد الفلسفي لقضية الموت، باعتبار أنّ معضلة الموت تمثل الجانب الأكثر إشكالية التي كان يجب أن تدرسها الفلسفة بكل مدارسها. يقول المؤلف العراقي سامي البدري في مقدمة الكتاب: «بالنسبة إلى الإنسان، كيان ووجود ذاتي فاعل، يمثل الموت عملية اعتداء، همجية لا تملك مبرراتها على كيانه ووجوده، وعليه يجب أن لا يصار بخبطة الموت المهينة، الموت المتداول كموت أي حشرة أو عظاءة أو كلب سائب. فقناعة الإنسان الفكرية والحسية أنه وجد هنا ليعيش لا ليموت، فلمَ يأتي الموت ليحيله إلى مجرد جثة، سريعة التفسّخ، من دون أن يقدّم له مبررات مقنعة على أقل تقدير؟» يقترح الكاتب مجموعة وسائل وطرق بحث فلسفي للنظر في هذه الإشكالية وزوايا نظر عامة وخاصة لجوانب هذه الرؤية.

فيصل جلوح

يُقدّم كتاب «غيض من فيض يمنيات على سالم البيض» («دار زمكان» في بيروت) للباحث اللبناني فيصل جلّول رواية مُفصّلة لدور الرئيس علي سالم البيض في التاريخ السّياسيّ المعاصر لليمن. يستعرض الكتاب مشاركة علي سالم البيض في حركة القوميين العرب والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، ودوره في إسقاط السلطنات البريطانية التي استمرت بين عامَي 1839 و1967. شغل البيض عدّة مناصب حزبية وحكومية رفيعة بعد الاستقلال، بما في ذلك وزارتي الدّفاع والخارجية. وصولاً إلى الأمانة العامة للحزب الحاكم، قام البيض باتخاذ قرارات مُؤثرة في مستقبل بلاده من خلال مناصبه المختلفة، بما في ذلك تحقيق الوحدة المشتركة مع شمال اليمن. وبعد أربع سنوات الاعتزال والمُطالبة بالعودة إلى نظام الدّولتين بعد فشل تجربة الوحدة. يضمُّ الكتاب أيضاً مُلخصاً لسيرة البيض في القرنين العشرين والحادي والعشرين.

أشرف العشماوي

يعود الكاتب المصري أشرف العشماوي في روايته «السرعة القصوى صفر» (الدار المصرية اللبنانية) إلى فترة ما قبل ثورة يوليو الشهير بقيادة جمال عبد الناصر. تدور أحداث الرواية في حي غاردن سيتي في القاهرة، حيث عاشت أسرة مصرية لسنوات طويلة تحت ظل الحكم الملكي قبل أن تقع ثورة الضباط الأحرار التي أثرت على حياة أفراد العائلة واستمرت تبعاتها لسنوات عديدة. تتشابك مصائر الشّخصيات المُركّبة على صفحات الرواية، فتتصل أحداث غريبة تمتد حتى النهاية. بين الواقع والخيال، يبرع أشرف العشماوي في ربط خيوط القصة ويصوغ فصولها بتدرج، حيث يروي لنا قصص الطفولة والحب والمغامرة والهروب والجريمة والمؤامرة وصراعات السّياسة مع السّلطة الدينيّة، من خلال تصوير دقيق لمجتمع اندثر منذ سنوات بعيدة ولكنه ما زال حيّاً في ذاكرة الكثير من الناس.

هاري . جي جنسلر

يطرح الباحث الأميركي هاري جي. جنسلر في كتابه «الأخلاق والدين» (2016) الصادر أخيراً بترجمته العربية عن «دار الرافدين» (ترجمة رعد زامل) مسألة مصدر الأخلاق. يتناول الكتاب اعتراضات الملحدين على أسس الإيمان بالله، ويُركز على الرؤية التي يتبناها الملاحدة فيما يتعلق بالأخلاق. يُقدّم الكتاب بجدارة حججاً دفاعية للإيمان بالله، استناداً إلى تلك الاعتراضات. ويتطرّق كذلك إلى مواضيع تتعلق بالتفكير العملي والقاعدة الذهبية وينـاقش أيضاً قضايا الأخلاق وعملية النشوء والارتقاء ومشكلة الشّر وأهمية المواءمة الدقيقة. يُشدّد الكتاب على القاعدة الذهبيّة التي تقول «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك» ويعتبرها مرجعاً مشتركاً لجميع الأديان العالمية، فهي تُمثل الأساس الذي تستند إليه تعاليمها. ويُعتبر الالتزام بالقاعدة الذهبية عنصراً أساسياً للسّلام والتّعايش الإنسانيّ السلميّ في المجتمعات المتعددة الثقافات.

الحبيب السالمي

«أمام أوّل عمارة يقف رجل يعتمر قبّعة ويضع نظّارة سوداء. حالما رأني أخذ يسير صوبي بخطوات سريعة. ولم أدرك أنه عبد الله حارس المجمّع إلا حين نزع نظّارته وصار قريباً مني. لم أكن أنتظر أن يكون هناك لاستقبالي بالرغم من أنني أعرف أنه متشوّق للقائي بعد غياب طويل. اثنا عشر عاماً كاملة وقعت فيها أحداث كثيرة أهمّها بالطبع الثورة التي مرّت الذكرى العاشرة لقيامها قبل فترة قصيرة». تتمحور رواية التونسي الحبيب السالمي الجديدة «عطلة في حي النور» (دار الآداب . بيروت) حول ثلاثة أشخاص: حارس عمارة يدعى عبدالله، صحافية مُطلّقة، وشاب مغامر مهووس بتربية الكلاب. يتعرف القراء إلى هؤلاء الشخصيات في «حي النور»، الواقع في ضواحي العاصمة، حيث استأجر الشاب شقة مفروشة لقضاء عطلة الصيف. تستكشف الرواية التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والسّياسية التي شهدتها تونس بعد الثّورة، وتأثيراتها على النفوس وتداعياتها في مجتمع متعثّر ومشوش، حيث تتلاقى مفاهيم وقيم متناقضة.

قصة

أحمد فؤاد الدين: فضاءات العزلة والتداعي

إسلام العزازي

يُختتم كتاب «مقدمة قصيرة عن الاحتباس الحراري» بجُملة تُبلور تفاوت مركز القُوى بيننا وبين الطبيعة: «الطبيعة وحش، ونحنُ ننقرُ ظهره بعصا». رغم أن هذه الجُملة، جاءت في سياق علمي وبيئي، لكنّها تصلح كعُنوان فرعي للمجموعة القصصية «مساحة للمُناورة»، التي تتّخذ نفس مسار النقر بالعصا، على فضاءات العُزلة وتداعي العلاقات العاطفية، انتهاءً بتداعي الذات في تيه أبدي، يقوم على التواءة حدثية تُغيّر النموذج الحكائي بأثر رجعي. صدرت «مساحة للمُناورة» (دار المحروسة للنشر) لأحمد فؤاد الدين مطلع العام الحالي، بعد تلاشي وباء كورونا، على الأقل في وعي العالم، وعودة الحياة إلى طبيعتها، إلا أنّ هاجس الاستدعاء في القصص، يجعلُ لحظة الانعزال كونيّةً، مُمتدةً، ربما إلى مزيد من الوقت في داخلنا، حتى يكون هناك حُسن توقّع للحظة الخطر القادمة. في مقال «فرضيات حول القصة القصيرة»، يُحدد ريكاردو بيجليا أن القصة الحديثة، حكاية تنطوي على حكاية أخرى سريّة، وقد ورثنا هذا الشكل من تشيخوف وجيمس جويس وكاثرين مانسفيلد. تتخلى هذه الحكاية عن النهاية المُفاجئة، والبنية المحكمة، تُحدث توتّراً في فعل وحدانية القصص، تخلق فضاءً فاصلاً، لا ينفي الربط، بين القصة والقصة التالية. في العلاقة مع القارئ، تقوم القصة القصيرة الحديثة على تقنية المُراوغة، وعلى القارئ أن يُتقن النفاذ إلى القصة الباطنية، الثانية والسريّة. في «مساحة للمُناورة»، تأخذ بعض القصص مساراً مُختلفاً عن تبطين الحكاية الثانية، فاللحظة الراهنة تجعلُ المعنى الدخيل في القصة، مُتفحّشاً بحُكم تأثيره على الشخصيات، بحيث أنّها تعجزُ عن تفعيل أي مناورة على القارئ ضمن الحكي، بل تُحاول، بأس، أن تُراوغ على مستوى حكائي ظاهري، فيمنعها الحدّ والمحدودية، وتكون لحظة التداعي، هي محور القصة.

بدلاً من تجهيل الشيء الأكثر أهميّة، الذي لا يتم سرده عادة في نموذج القصة الحديثة، وبدلاً من أن تُبنى القصة السرية مما لا يُقال ومن الإيحاء الضمني والإلماح، تندفعُ شخصيات تتشارك في مُناورات فاشلة، إلى السطح الخارجي للحكي، إذ تجدُ فضاءً مُطمساً، وعلاقات محدودة، ووجوداً يُناى عن متن المُدن، يحتمي بالهامش.

تطابقت القصة الأولى «جزمة البهلوان» مع بنية القصة السرية. ثمّة حكاية كبيرة، لها زمن بمسير نصف حياة شخص، يُمكن استنطاقها من خلال علاقة مُمتدة بين بطل القصة وحذائه. نقرأ صورة ظاهرية للحكاية، لها مبدأ درامي، بينما الحكاية السريّة، تعكسُ علاقة تبادلية مع الفضاء، الذي طُمست معالمه حكائيّاً.

يتصاعد ذلك الفضاء في القصة الثانية، ليكسر حيّز التوهّم الحكائي، لأن الشخصية، ابنة اللحظة الراهنة، داخل القصة، لا تمتلك سوى سلطة مراوغة ووهمية تصوّراتنا عن أنفسنا، بينما في المُقابل، تعكس لنا المرآة، إحدى الأدوات الحياتية الأساسية، صورةً «افتراضية» يُمكنها أن تستحيل إلى عدد لا نهائي من نفس الشخص، وبأبعاد مُختلفة.

تدور القصص في إطار شديد الضيق، سواء في حالة اعتماد مسارها على طرفي علاقة بشريين، أو اعتمادها على الفضاء الخارجي كطرف. تهيم بعضُ القصص، وشخوصها، في الفضاء الخارجي، تُعلّق في الهواء، وتكوّن حدثاً ما في الذاكرة بأثر رجعي. تحتمي الشخوص بالهامش، لكنّه هامش مُدن حديثة، مُراوغة في ردود أفعالها التي تجعلنا نكوّن تصوّرات عن ذلك الفضاء، جواراً إلى الاشتباك العاجز مع الصرخات، هي من ناحية أخرى، تبحث عن المُخرج ذاته، لتُكمل مدلولات الدهشة الأساسية من خلاله.

ثمّة لحظات فارقة تُستنطق من مرحلة واقعية، فحينما حُبس العالم خلال وباء كورونا، لم يُحبس على مُستوى مادي فقط، بل استحال مراكز صراع مُستكينة مُنذ زمن، والزمن بدوره تجلّت حاكميته أكثر. من خلال تسلّحه بالفراغ، والتنصّل من إضافات الدُنيا، أصبح الإنسان في علاقته مع الآخر، أو مع ذاته، أو حتى مع فراغ المُدن، مثل واقع في ورطة.

تبدأ ذُروة المُناورات، في قصة «أصفر صارخ»، حيثُ يبحث مُخرج أفلام مُستقلة عن مُتخصّصة في الصرخات. يتداخل حيّز الذاتي بين المُخرج، ومُنتجه الفنّي، ويبدو أنّ المرأة المُتخصصة في الصرخات، هي من ناحية أخرى، تبحث عن المُخرج ذاته، لتُكمل مدلولات الدهشة والخوف والرهبة، المُتعلّقة باللون الأصفر، في حياة المُخرج. في القصة المذكورة، استحالت علاقة الأشخاص في القصص السابقة من تبادل مع آخر وأسع المدى، إلى تبادل بشريّ، محفوف بجدل مراكز القُوى، فكل شخصية لديها ما يُبدّل حياة الشخصية الأخرى سواء بالتأثير أو التأثّر، أو على الأقل يخلق التواءة في خط حياة مُستقيم، لا تدوم استقامته بعد ذلك.

من خُمية الصراع المُبطن، إلى التفتّت الهادئ والحميم، تشكّل قصة «وصفة لا أتقنها» مُفتتحاً جانبياً لعدّة قصص تقوم على نفس هاجس التداعي، في صورة أكثر واقعية ونائية عن التجريد. شخصية القصة معدومة الاسم، فاقدة لأي ملمح فيه أنسنة، حتى أصولها العرقية الأرمنية مُفتتة أيضاً، لذلك فإن مسار القصة يُسجّل بطء تفكك علاقة عاطفية، مثل ذوبان ملح في الماء، لا توجد مسارات للمُراوغة، بدافع البقاء، بل هُناك مسارات معلومة النتيجة الفاشلة، إلا أنّها تطمح لمزيد من زمن بشغله فضاء حميمي.

تنتقلُ مساحة الحُضر هذه بإيقاع تهديدي وقلق بدلاً من البطء، في قصة «خط مستقيم مُتعرّج» حيثُ تتشكّل الشخصية، بنفس آلية طمس معالم الشخصية. يُبرّر ذلك الإيحاء بمدى ضالة الإنسان قُبالة القُوى غير المرئية. على الهامش نفسه، الذي شهد تداعي شخصية بفعل خط مُستقيم مُتعرّج بالة حادة على السيارة، وربما في نفس الحيّ، دار صراع كتيم ومُحتدم، دلّت عليه الألوان، مواقع الكراسي وفضاء المطبخ بالطبع، حين انفرد زوجان بنفسهما أيام عُزلة كورونا.

تدُور قصص «مساحة للمُناورة» في تبادل ما بين الوحدة الجوّانية، أي تحديداً وحدة الانطباع والشعور بالخطر عقب كل قصة، وما بين التوتّر الحاصل خلال هذه الانطباعات، إذ إن تطابقها المبدئي ينتقل إلى صراع خارج من المُتخيّل القصصي، لأن أدوات الحكي في المجموعة، شديدة الأولية، لا يحملُ العالم أي مميزات، بل هو مُتخيّل يوازي الواقع، يُعزّزه، ويجعله شديد القُرب منّا. عودة إلى الحكاية السريّة التي ذكرها بيجليا، فلا توجد قصةٌ لا تنطوي على بُعد حكائي مُراوغ، لأن ذلك تحديداً هو ما يولّد الدهشة القصصية، ورغم أن قصص «مساحة للمُناورة»، تقوم على توتّر حاد خلال القراءة، بفعل الوضوح وعادية الشخصيات وتشاركها في التداعي، يختبئ البُعد السرّي في الحكي، بداخل الشخوص ذاتها، التي تُشبهنا كثيراً، في عاديتها وخيباتها، وفي الفضاء المكاني الذي تشتبكُ معه أيضاً.

هامش مُدن حديثة، مُراوغة في ردود أفعالها

شعر

إيمان زياد... الضوء الطالع من الداخل

تغريد عبد العال

في مجموعتها الشعرية الجديدة «كأني هنا» (دار دجلة - الأردن)، تسقي الشاعرة الفلسطينية إيمان زياد ترجسة الروح بالشعر، فتبدأ مجموعتها كأنها تحاور تلك الترجسة كي يصفى قلبها. فلغة الشاعرة صافية، تتنقل بين الصور كأنها تتنقل في فلسطين، لتبدو أحلامها مضيئة أكثر، تماماً كما تذكر في إحدى القصائد، قائلة «أجمع نصفي». يبدو الحب في قصائد إيمان عالماً صوفياً رحباً وعميقاً، فلا تظهر الصور المجازية إلا لغة شفافة، نرى داخلها الأشياء حقيقية، كأن الشعر هو دخول إلى تلك الأعماق لمعرفة الحقيقة، فاللغة هنا ماء نرى من خلاله مشاعر إيمان غارقة كما تسأل في قصيدة لها: «واللغة وأنت تصبها في كأس الشعر وأنت مسيّج بالعناق، كانت لمن؟»

تحضر المفارقة لكن بعفوية وجمال كأننا هنا نراقب ما يحدث في اللغة وهو الصدق، الصدق في جعل المشاهد تتحدث عن نفسها، تقول: «أول مرة صافحتني، تسرّب من بين أصابعي الرمل». هكذا تجعلنا قصائد زياد نفكر في الحبّ بطريقة مختلفة. هو عالم مفتوح على صور مشاعر صادقة لا يعرفها الواقع أحياناً، أو قد تبدو الصورة أحياناً قاسية، لكنها حاسمة وغير مترددة وصادقة، فتقول: «كرصاصة بك أستقر».

تنزاح أيضاً لغة الشاعرة عن السرد العادي، فتبدو حتى القصة مختلفة. نعثر على امرأة مختلفة تقول لحبيبها: «ساعقد بسلسلة ظهرك حبل مراكبي». كأنها هنا ليست تائهة، بل امرأة تقول ما تريد، تضع مراكبها في مكان الرجل الذي تحب.

يحضر الموت أيضاً لكن كعالم يُعد الشاعرة للولادة مرة أخرى، فنعشها قارب نجاة، ربما هو ذلك الشعور الذي ينقلها من عالم إلى آخر، عبر الشعر وحده. هو ذلك الانتقال إلى حالة تكون فيها الشاعرة واعية لما يحدث حولها، فترى كل شيء بوضوح كما تقول: «ضحكات الضحايا تزفني، وبلا عينين كنت أراهم».

تحضر بحيرة طبريا داخل قصائد الحب، فتقول في إحدى القصائد: «كثير علي وجهك هذا الصباح/ كبحيرة طبريا/ تبسط ضحكتك العذبة. كثير علي/ أن أحاول لمسك عذباً».

لا يغادر الغموض نصوص إيمان زياد المفتوحة على التأويل، لكنه يجعلنا نقف صامتين أمام دهشة مباغتة. هكذا مثلاً تتحدث إلى جرحها قائلة: «يا أيها الجرح المطل على دمي/ ما عاد يعني للجريد تاوهك». تخاطب إيمان غالباً الألم والعذاب والجرح، ولكن صورها الشعرية تخففها كأن الغموض رحلة نحو فهم الأشياء بطريقة أخرى ومحاولة استيعاب ما يحدث، فتسأل أحياناً: «من أنت؟/ غريب ينحل روحها بالعذاب/ ويكدم قلبها بالعذل فيرزق؟» هي مغامرة شعرية للبحث والكشف تقضي دائماً إلى الدهشة.

وفي شجاعتها أيضاً ونضالها اللغوي، تعترف لنا: «طفلي أشجع مني/ حين قتلوه برصاصة ساخنة/ ابتسم في وجه القاتل». هكذا ربما تعانق الشاعرة قوتها وشجاعتها حين تراقب ما يحدث لطفلها وللعالم من حولها بشكل عام. هكذا يكون الشعر، ليس فقط مناجاة لما يحدث معها، بل أحياناً محاكاة لما تراه حولها في الطبيعة. هي ترى الحبيب أحياناً في الزهور من حولها. تقول: «الزهور التي غرستها في غيابك/ نجحت على شكل جيد/ أريحها عطرك الصباحي/ على اتساع فمك تتشكل الأوراق/ متمردة وحقيقية جداً كانت/ جذورها غزيرة كما تنبت في/ لا يبل ريقها الماء وحده دون الحنين/ وحين يستوطنها النحل/ تقطر قصيدة حلوة».

وهنا ربما الشاعرة الشعر في كل شيء حولها، في الزهور، في الحب والهجران والنسيان، وحتى في الزنزانة التي تكتب عنها قصيدة: «لا نوافذ في زنزانتي/ أنا الوحيدة نافذة مغلقة متخيلة/ وفي الخارج برتاح على جسدي الكون». لا نعثر على المرأة أسيرة، فالشاعرة جعلت من الزنزانة عالماً واسعاً لأنّ رؤيتها أوسع من الزنزانة، وهكذا يجعلنا شعرها نطلّ على تفاصيل روحها، فهي لا تكترث بالسجون، وتنظر إلى نفسها أيضاً بأنها نافذة مغلقة على عكس الاعتقاد السائد بأنّ النوافذ المفتوحة هي التي تعطي الضوء.

لا تخاطب نفسها فقط بل في قصيدة تتحدث إلى «المعطوبة أرواحهن». تقول عنهن: «المتوجعات حد التمتع بالأنين»، فربما هي هنا تود أن تعانقهن بقصيدة أو أن تقول لهن: «أن في الروح والقلب ضوءاً ما».

هي واحدة منهن، لكن قصيدتها لا تقترح حلولاً أو تقدم رؤية لأن رؤيتها هو ذلك النظر الجميل إلى الأشياء ومعانقتها بطريقتها الجميلة. كأننا في قصائد إيمان نراقب ذلك الضوء الخافت الذي يضيء بسرعة المشهد كله في القصيدة. يأخذنا شعرها إلى النظر إلى الداخل لرؤية تلك الندوب التي تركتها الحياة في العمق. تخاطب البلاد كأنها مقيمة في لحظات الحلم والثورة والموت، فيحضر الحب دائماً كجواب على كل شيء لتقول: «على شفا بلاد تودعنا/ قبلتني وفضضنا العناق بتحية عسكرية/ كلانا يخضب صراطه بعيون مستعارة».

هكذا يباغتنا الشعر عندما يغير توقعاتنا عن الأمور، فنصادف في قصائد إيمان ذلك الضوء الذي يخرج من الداخل لا من الخارج.

كأنها دعوة إلى رؤية العالم كما تراه هي، ولأن الشعر يدعونا إلى النظر العميق إلى الأشياء، تقول إيمان في آخر المجموعة: «كمعكب ثلج بملقط النادل أنصهر/ النادل يغرق بلا وعيه/ وكذا أنا/ ثمة ماء يرشح من شفتي». يبدو أن الشعر يملأ قلبها بذلك الماء، أو أنه ذيل القط التي تقول له في آخر كلمات في المجموعة: عنقي معلّقة بذيل القط.

تخاطب البلاد كأنها مقيمة في لحظات الحلم والثورة والموت

أوراق

حرف التاء ووسم الإبل

زكريا محمد *

حرف التاء هو آخر حرف في الأبجديات السامية المكونة من 22 حرفاً. وهو يتمثّل بصليب في شكليه الشائعين الرئيسيين.

حرف التاء بشكليه الاساسيين في الابجديات السامية

والنقاش يدور حول اسم هذا الحرف ومعناه. فاسمه بالعبرية تاو taw وبالسريانية تاو taw أيضاً. وهو باليونانية تاو tau. وبالجعزية الحبشية تاوي tawi-tawe. وبالحبشية ليس له معنى، بحسب ما يقوله الباحثون. وهو ما يشير إلى أنه مستورد إليها من لغة أخرى. أما بالعبرية، فإن كلمة تاو تعني: إشارة، علامة. لكن بعلبكي يرى، مصيباً، أن اسم الحرف ليس مشتقاً من الكلمة العبرية تاو بل العكس في ما يبدو: «ومثل ذلك اسم الحرف taw، إذ ليس مشتقاً من كلمة taw العبرية، وتعني «علامة» أو «إشارة»، بل على العكس من ذلك، يجب تفسير الكلمة العبرية هذه بأنها مأخوذة من اسم الحرف t لأن شكل هذا الحرف (+ أو ×) يوحي بهذا المعنى» (منير بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، دار العلم للملايين، ص 252).

ويمكن للمرء أن يوافق بقوة على كلام بعلبكي حول أن اسم الحرف في العبرية ليس أصلياً، بل مأخوذ من اسم الحرف ذاته. وهو ما يعني أن الاسم مستورد إلى هذه اللغة من خارجها. وبعلبكي يكرر هذا الرأي أكثر من مرة قائلاً: إننا إذا «عدمنا في اللغات السامية كلمات مقابلة لهذه الكلمة العبرية، فقد يعوض عن هذا شكل الحرف في الكتابات المختلفة، وهو أقرب إلى أن يكون علامة من أي شيء آخر» (منير بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ص 250).

وهذا الكلام ليس صحيحاً من ناحيتين.

فمن ناحية، لا معنى للحديث عن أن حرف التاء يمثل علامة. فكل حروف الأبجدية علامات من حيث المبدأ. بذا، ففكرة الإشارة والعلامة لا توصلنا إلى الأصل التصويري للحرف. فإذا كان المعنى الأصلي للحرف يشير إلى علامة، فلا بد من تحديد هذه العلامة.

ومن ناحية ثانية، فنحن لا نعدم في اللغة العربية كلمة مقابلة لكلمة «تاو» العبرية. فلدينا مقابل يمكن له أن يوضح المعنى الأصلي للكلمة العبرية ذاتها. كما أنه يستطيع أن يوضح لنا أصل الصيغة الحبشية أيضاً. أما الكلمة العربية المقابلة لكلمة «تاو» فهي «التِّواء». وهي لا تعني «علامة» هكذا بالعموم، بل تعني علامة محددة هي: وسم للإبل على شكل صليب: «التِّواء، بالكسر: سِمَةٌ في الفخذ والعُنق كهيئة الصَّليب» (الفيروزآبادي، القاموس المحيط). ويزيد المعجم الوسيط: «التِّوَى: سِمَة في الفخذ أو العنق كهيئة الصليب». أما «لسان العرب»، فيقول: «التِّواء: من سمات الإبل: وسم كهيئة الصليب، طويل يأخذ الخد كله، عن ابن حبيب من تذكرة أبي علي. النضر: التِّواء: سمة في الفخذ والعنق... يقال منه بعير متوي، وقد تويته تيا، وإبل متواة، وبعير به تواء وتواءان وثلاثة أتوية» (لسان العرب).

إذن، فهناك سمة من سمات الإبل، أي علامة من علامات ملكيتها، على شكل صليب تسمى: التِّواء أو التِّوى. وهذا هو القول الفصل. هذا هو أصل معنى الحرف: سمة الصليب، وعلامته. وعلى أيّ حال، فالثانية من الصيغتين، أي التي بلا همزة في آخرها، على وجه الخصوص، قريبة جداً من الصيغة الحبشية: توي tawi-tawe. وبما أنه ليس لهذه الكلمة معنى بالحبشية، فإنه يمكن افتراض أن الصيغة الحبشية مستوردة من عربية شمال الجزيرة العربية. لكن الياء في الصيغة الحبشية (تاوي) قد تشير إلى أن الكلمة العربية الأقدم كانت بالياء لا بالألف المقصورة: (تَـوِيَ). ولعل وجود صيغة الجمع (أتوية) بالياء يدعم أنها ذات أصل يائي.

عليه، فاسم حرف التاء يعني، وانطلاقاً من العربية: علامة الصليب التي تستخدم كوسم للإبل، وليس أي علامة بالعموم. وهذا هو الأصل التصويري للحرف. ومنه انبثقت أسماء الحرف في الأبجديات السامية واليونانية. ولست أستبعد أن «التِّوى» أو «التَّوي» كان اسم الصليب ذاته في زمن أقدم. وإذا صحّ هذا، يكون اسم الحرف قد أخذ من الصليب مباشرة.

وكنت قد اقترحت في مادتين سابقتين أصلاً تصويرياً لحرفي اللام والطاء استناداً إلى العربية أيضاً. فاسم حرف اللام بالحبشية لاوي Lawi، وهو يعني: الحية المتطوية في نومها. يتوافق مع وصف تطوي الحية في العربية بأنها «لاوي»: «لواء الحية: انطواؤها» (القاموس المحيط). يضيف اللسان: «لِوَى الحية: حِواها، وهو انْطِواؤها؛ عن ثعلب. ولاوَتِ الحَيَّةُ الحَيَّةَ لِواءً: التَوَت عليها» (لسان العرب). وقال شاعر: «ألوى حيازيمي بهن صبابة/ كما يتلوّى الحية المتشرق» (ابن قتيبة الدينوري، المعاني الكبير). والمتشرّق هنا تعني: المتشمس في شمس الشتاء. والفعل المعاكس لفعل التلوي والتطوي هو الانسياب: «سابَ الأَفْعَى وانْسابَ: إذا خرَج من مَكْمَنِه» (لسان العرب). ومن معنى التطوي والمكوث في الجذر (لوى)، يبدو أن الحية سميت في وقت ما «لاوي» في الجزيرة العربية، كما في الحبشية. فالحية مذكر غالباً في القواميس العربية. الاسم «لاوي» ليس موجوداً مباشرة كاسم للحية في العربية، لكن الصيغة الحبشية تفترض وجوده. ولأن صيغة «لاوي» ليس لها معنى في الحبشية بينما هي تملك معنى في العربية، فمن المنطقي أن نحكم أن الكلمة الحبشية مستوردة من العربية القديمة كاسم للحية، ثم كاسم لحرف اللام.

حرف اللام في اقدم اشكاله يتطوى كالحية في اسفله

هذا يعيدنا إلى التنوع في أسماء حرف اللام في الأبجديات المختلفة. فهو في العبرية لامد Lamed وفي اليونانية لامبدا Lambda . والاسمان قريبان من بعضهما. لكن الاسم اليوناني يضيف باء غير موجودة في الاسم العبري والحبشية. ووجود الباء غريب ومحير. لكن من المحتمل أنّ هذه الباء تحيلنا إلى الجذر «لبد» الذي هو عملياً عديل للجذر «لوى». فهو يشير إلى الانكماش على الذات، أي التقلص للتخفي: «لبد يلبد لبودا: لزم الأرض متضائل الشخص» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة). يضيف الزمخشري: «لبد بالمكان يلبد لبوداً: إذا لصق. ويقال أيضاً: ألبد بالمكان كذا أقام ولزق» (الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر). وكل هذا يعني أننا عملياً قريبون من التلوي والتطوي. بالتالي، فوجود الباء في الصيغة اليونانية قد يشير إلى أن الاسم الأصلي في اللغة اليونانية ربما كان من دون الميم، أي «لابد». بالتالي، قد تكون «لابد» مثلها مثل «لاوي» اسماً للحية مأخوذاً من حركة لبودها وتلوّيها. بناء عليه، فالاسم العبري «لامد» قد يكون في الأصل محرّفاً عن «لابد». أما الصيغة اليونانية، فقد جمعت التحريف العبري مع الصيغة الأصلية فحصلنا على الاسم الهجين «لامبدا». بناء على هذه الفرضية، يكون البحث عن معنى الاسم العبري باعتباره عاكساً للأصل التصويري عبثاً في عبث. فالجذر لمد العبري، يشير إلى الضرب والنخس. لذا فقد افترض أنّ «لامد» تعني: منخاس الحيوانات. وهذا غير معقول وغير مقبول إطلاقاً. فشكل الحرف الأقدم، والمتطوي في نهاياته، لا يوحي بنخس ولا نخز. فلكي تنخس، على نهاية أداتك أن تكون مستقيمة مدببة لا متلوية متطوية.

بناء على كل هذا، يكون اسمان من أسماء حروف الأبجدية وهما التاء واللام من أصل عربي. وإذا أضفنا إلى ذلك ما كنت قد اقترحته من قبل، وهو أن اسم حرف الطاء قادم من «طوط» أو «طيط»، وهو القطن، فإنّ أسماء أحرف ثلاثة في الأبجدية تكون ذات أصل عربي. يقول أمية ابن أبي الصلت:

والطوط نزرعه فنلبسه
والصوف نجتزّه ما أدفأ الوبر.

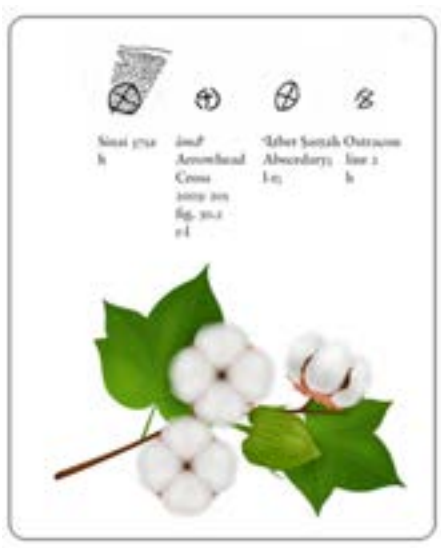

زهرة القطن مقسومة بصليب هي الاصل التصويري لحرف الطاء القديم

وهذا أمر يجب أن يؤخذ في الحسبان عند الحديث عن أصل الأبجدية وأصل أسماء حروفها. فإذا كانت العربية قادرة على تفسير أسماء عدد من الحروف في الأبجديات السامية، فإن هذا يعني أنها كانت، بشكل ما، على صلة بمولد هذه الأسماء، وأن الأبجديات السامية الشمالية ربما تكون قد استعارت جزءاً من هذه الأسماء من العربية. لكن للأسف، فنحن لا نعرف أسماء الأحرف العربية القديمة. ما نعرفه هي الأسماء الحديثة نسبياً، التي تنقسم إلى قسمين: قسم مكوّن من الصوت وحركة الفتح، إضافة إلى همزة السكت مثل: ألف، باء، تاء، جيم، إلخ. وهذا القسم لا معنى له. وقسم يملك معنى مثل: ألف، جيم، دال، ذال، قاف، كاف، إلخ. أخيرا، أود أن أشير إلى أن اسم حرف الياء في الحبشية هو: يمان yaman، بينما في العبرية هو: يود yod ، أي يد، وفي اليونانية: إيوتا، وهو تحريف ليد عند الغالبية. وقد افترض أن الأحباش غيروا الاسم «يد» إلى «يمان»، التي تعني اليد اليمنى، لأن كلمة يد في الحبشية لا تبدأ بالياء. وهذا احتمال ممكن. لكن هناك احتمال آخر وهو أن كلمة «يمان» كاسم لحرف الياء مستوردة من لغة تسمي اليد (يمين، يمان، يمن). وهناك بيت شعري للبحتري قد يدعم احتمال أنّ اليد ربما كانت تدعى «يمن» بالعربية:

ما تنكر الحسناء من متوغل
في الليل يخلط أينه بسهوده
قد لوّحت منه السهوب وأثرت
في يمنتيه وعنسه وقيوده

قد يكون البحتري بالطبع أخذ اليد اليمنى ثم جعلها اسماً لليدين معاً. لكن هناك احتمال لأن تكون اليد دعيت في العربية في وقت ما باسم «يمن» وأن البحتري استخدم صيغة التثنية (يمنتيه) لهذه الصيغة المهملة.

وربما يؤيد هذا قول لعمر بن الخطاب: «فِي حَدِيثِهِ حِينَ ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ القَشَفِ وَالْفَقْرِ وَالقِلَّة فِي جَاهِلِيَّتِهِ، وأنه وأُخْتاً لَهُ خَرَجَا يَرْعَيانِ ناضِحاً لَهُمَا، قَالَ: لَقَدْ أَلْبَسَتْنا أُمُّنا نُقْبَتَها وزَوَّدَتْنا بيُمَيْنَتَيها مِنَ الهَبِيدِ كلَّ يوم». وهناك آراء متعددة جداً بشأن كلمة يُمينتيها. لكن احتمال أنّ عمر سمّى اليدين يمنتين (يمينتين عند التصغير) لا يمكن نفيه. بالتالي، فقد تكون كلمة «يمن، يمان» في الحبشية مرادفاً لكلمة «يد» في العربية وأنها استخدمت في وقت ما لتمثيل حرف الياء تبعاً للمبدأ الأكروفوني، ثم استوردتها الحبشية بعد ذلك، وحافظت عليها.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 24 Juin 2023 no70
السبت 24 حزيران 2023 العدد 70

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

مكاسب استغلال الأطفال تتفوق على القانون [6-7]

«شيزوفرينيا» الطب الشرعي في لبنان

[2-5]

(هيثم الموسوي)

المختبر الجنائي

الطب الشرعي، «الحصن العلمي» الذي يعتمد عليه القضاء لتحقيق العدالة، لا يرتقي إلى مستوى حاجات القضاء ويساهم بشكل كبير في زيادة اللبس عبر الإخفاقات والمغالطات والتناقضات التي تحويها التقارير الشرعية. صحيح ان الطب الشرعي يرزح تحت وطأة الكثير من التحديات والمشكلات (راجع «القوس»، 5 شباط 2022، «الطب الشرعي مريض») إلا انها لا تبرر «الشيزوفرينيا» التي يعانيها القطاع، لما له من اهمية اثناء التحقيق الجنائي كأداة رئيسة لحل الجرائم بدلاً من الاعتماد على استخراج المعلومات والاعترافات تحت الضغط. يوافق الاربعاء المقبل اليوم الدولي للامم المتحدة لمساندة ضحايا التعذيب (26 حزيران) الذي دخلت فيه اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة او العقوبة القاسية او اللا إنسانية او المهينة حيّز التنفيذ عام 1987. نوضح في هذا المقال اهمية التركيز على إصلاح قطاع الطب الشرعي والادلة الجنائية باعتباره قطعة مفقودة من خطط وبرامج مناهضة التعذيب عبر الدمج الناجح للمباحث العلمية في قطاع العدالة، وتطوير القدرات العلمية والتقنية التي تلبّي احتياجات القضاء، بالإضافة إلى المساهمة في تطوير ثقة المجتمع بسيادة القانون، إذ يفترض ان يكون الطبيب الشرعي مساندا فعلياً لضحايا التعذيب وليس مضلّلاً للحقيقة

مناهضة التعذيب عبر إصلاح المباحث العلمية

«شيزوفرينيا» الطب الشرعي في لبنان

جنان الخطيب

«سهلة كتير تجيب تقرير تعنيف من أي طبيب شرعي، وزيد المصريات شوي بيزيد ايام التعطيل». فقد أصبحت تقارير الطبيب الشرعي «حسب الطلب» بين تزوير السجلات الطبية لمدّع من أجل تعزيز دليل إصابته وجعلها تبدو أسوأ مما هي عليه، وتقديم شهادات مزورة لعدم وجود آثار تعذيب في مناسبات أخرى، والتوقيع على إفادة «شاهد خبير» غير صحيحة في محاولة لشرح التغييرات التي أُجريت على تقرير كان قد قدّمه سابقاً.

عدم نزاهة الطبيب الشرعي وتهوره في حسم القضايا الجنائية الجنائية من أجل التشكيك أو على الأقل طرح تساؤلات حول المعلومات والأدلة التي يقدّمها الطبيب الشرعي وإعادة فحصها؟

ضرورة إدراج مواد علوم الأدلة الجنائية وتطبيقاتها في مسرح الجريمة بصورة إلزامية في معهد الدروس القضائية ومرحلة تدرّج المحامين

اللغة «عميا»

صحيح أن ثقة القاضي بالشهود الخبراء المحلفين، ولا سيّما الأطباء الشرعيين، هي مفتاح حسن سير العدالة، لكن تلك الثقة العمياء تنطوي على مخاطر عدة، على سبيل المثال، يمكن للأطباء الشرعيين الفاسدين أن يحجبوا الحقيقة وراء مصطلحات علمية «مشوّهة»، مع العلم أنه لا يمكن للقضاة أو المدّعين العامين أو المحامين التشكيك بشكل كاف في نتائجهم أو استنتاجاتهم، بسبب الافتقار إلى معرفة الأسس العلمية للتحقيقات الجنائية وتقنيات المباحث العلمية. نتيجة ذلك، قد تُقنع الشهادات الكاذبة من قبل متخصصين في الطب الشرعي المحاكم ببراءة المتهمين أو إدانتهم من دون «دَرَة» دليل علمي. وبالتالي، غالباً ما تكون الأدلة الجنائية المادية «غامضة» بسبب سوء فهم قيمتها الإثباتية وأهميتها بشكل أساسي، إذ هناك حالات عديدة من سوء فهم لنتائج المختبر من قبل القضاة والمحامين في ما يتعلق بأدلة بقايا طلقات نارية، أو الفرق بين بصمة الإصبع والبصمة الوراثية. من هنا، تظهر ضرورة إدراج مواد علوم الأدلة الجنائية وتطبيقاتها في مسرح الجريمة بصورة إلزامية في معهد الدروس القضائية ومرحلة تدرّج المحامين.

كوارث تقارير الاطباء الشرعيين

تشكل تقارير الطب الشرعي المتحيّزة تهديداً للسلسلة الجنائية والمحاكمة العادلة، فإذا لم يكن لدى المحكمة خبرة موثوقة وفعّالة في الطب الشرعي، قد تكون العواقب خطيرة على مستوى تطبيق العدالة وانتهاك حقوق الضحايا أو المشتبه فيهم أو المحتجزين.

الفساد والإهمال مشكلتان كبيرتان. فمن خلال النتائج الخاطئة لتشريح الجثة مثلاً، قد يُحكم على جريمة القتل بأنها انتحار، ما يؤدي إلى تضليل التحقيق وإدانة أفراد أبرياء، وترتّب آثاراً سلبية بعيدة المدى على أسر الضحايا. أضف إلى ذلك تأثير الأدلة التي يقدمها الطبيب الشرعي على القضاة، كالافتراضات المعيبة في علوم الطب الشرعي والأدلة الجنائية غير الموثوقة مع حدود غير واضحة. فيقدّم الأطباء الشرعيون غالباً آراء حول الأدلة خارج مجال خبرتهم، كإعطاء إفادات عن دراسة الدم في المحيط أو مسار الطلق الناري أو مخلفات إطلاق النار التي هي من اختصاص الخبير الجنائي حصراً، أو من خلال حسم طبيعة الحادثة (قتل/ انتحار) بعد معاينة الجثة، علماً أن وظيفة الطبيب الشرعي هي وصف الجروح على الجثة والسبب الفيزيولوجي للوفاة (توقف القلب، أو نزف داخلي..)، وتحديد وقت الوفاة، والذي قد يتعذّر على الطبيب تحديده في بعض الأحيان، فيُستعان بخبراء جنائيين في علم الحشرات.

من المفترض ألّا يُمارس الضغط على المتخصصين في الطب الشرعي لضمان نتيجة معيّنة قد لا يكون لها علاقة بالحقيقة العلمية. لكن، قد يأتي هذا الضغط من وكالات مختلفة داخل نظام العدالة أو من مصادر خارجية، مثل السياسيين أو المسؤولين الفاسدين. إذا لم تستطع إدارة الطب الشرعي حماية المتخصصين من الضغط والفساد، فإن استقلال نظام العدالة مهدد بشدة.

(أرشيف ـ مروان طحطح)

الطبيب الشرعي في مواجهة التحديات

«حتى ما يروح الصالح بعزا الطالح» لا بد من الإشارة إلى أن على جدول مصلحة الطب الشرعي في وزارة العدل أطبّاء أكفّاء، ملتزمين بالمعايير الأخلاقية وآداب مهنة الطب، إلا أن عملهم يتأثر إلى حد كبير بالتحديات العلمية والتقنية وحتى التشريعية التي تواجه القطاع، رغم الأهمية التي يمثلها لمساعدة القضاء على كشف الحقيقة. ويسبب الافتقار إلى التقنيات العلميّة المتطورة والمشارح المتخصصة والحديثة، التي من المفترض أن تكون متاحة وموضوعة تحت تصرف كلّ الأطباء الشرعيين في نظام العدالة الجنائية في لبنان، يضطر الطبيب إلى إجراء المعاينات والتشريح في مستشفيات غير مجهّزة بالمعدات المطلوبة. لا بدّ من الالتفات إلى ضرورة مشاركة الطبيب الشرعي في الندوات والمؤتمرات المتخصصة بشكل دوري، ومتابعة التطورات في مجال عمله، مما يساعده على تأدية واجبه بفعالية ومهنية وإخلاص. أما من الناحية القانونية، فحتى الآن لم يصدر المرسوم التنظيمي لمصلحة الطب الشرعي والأدلة الجنائية، فيُكلّف الطبيب في القضايا بغضّ النظر عن مجال اختصاصه ومؤهلاته العلميّة، والطبيّة والعمليّة.

تواطؤ «شرعي» في التعذيب؟

يشمل تواطؤ الأطباء الشرعيين في التعذيب أثناء التحقيق أمثلة عدّة كالتدخّل الفعلي في التعذيب، واستخدام المعرفة الطبية للمساعدة في تقنيات «الاستجواب تحت الضغط»، والإشراف على استخدام المواد الكيميائية للتعذيب، وتقديم تقارير طبية كاذبة. أو من جهة أخرى التواطؤ السلبي (passive) كعدم الإبلاغ عن التعذيب. ففي هذه الحالة، هل يوفر الأطباء في الاستجواب درعاً أخلاقياً يمنح هالة «الاحترام» على الممارسات التي تنطوي على التعذيب؟

قد يكون أحد العوامل التي يمكن أن تسبب التواطؤ الطبي في التعذيب هو «الولاء»، إذ يضع الأطباء المصالح المتصورة لمنظمتهم أو دولتهم قبل واجبهم الأخلاقي المطلق في الرعاية الطبية. أو قد يكون، في حالات أخرى، مقابل تحقيق مكاسب مادية أو نفوذ أو سلطة.

لكن في النهاية، تنتهك جميع أشكال التواطؤ الطبي في التعذيب، سواء كان فعلياً أو سلبياً، بشكل أساسي أخلاقيات مهنة الطب وقسم أبقراط ومبدأ «لا ضرر ولا ضرار»، والقواعد الأخلاقية الطبية التي تحظر على المهنيين الصحيين (الأطباء وعلماء النفس) المساعدة في التعذيب المعروف في السجون.

لذلك، من الضروري إبلاء اهتمام خاص لتوثيق أي شكل من أشكال التواطؤ الطبي في التعذيب خلال إجراءات التحقيق في الممارسات المتعلقة بالتعذيب وبغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة، عبر إجراء تحقيق مستقل.

خبراء «بلا مصلحة»

أُضيفت «مصلحة الطب الشرعي والأدلة الجنائية» عام 1985، إلى الهيكل التنظيمي لوزارة العدل. ومن المفترض أن تحدد هذه المصلحة بمرسوم يصدر عن مجلس الوزراء بناءً على توصيات وزير العدل، فالخبير الجنائي المحلّف من القضاء والمعتمد لدى وزارة العدل ليس لديه أيّ «مصلحة» يركن إليها أو تنظّم عمله أو توجّد إجراءات ومعايير المحققين الشرعيين المعتمدين من وزارة العدل في مختلف مجالات التخصص.

من الضروري إدراج قطاع الأدلة الجنائية ضمن تصميم وتنفيذ وتقييم عملية إصلاح القطاع الأمني، ولا سيّما أن جودة هذا القطاع وحياده هما مكوّنان رئيسيّان لنظام العدالة الجنائية فعّال يعتمد على الدليل الجنائي لحل القضايا والجرائم، لديهم واجب أخلاقي ومهني لمنع الأخطاء في الأسلوب أو التحليل أو التفسير في القضايا الجنائية. فعلى سبيل المثال، لا يمكن الخطأ في عمليات تشريح الجثث لأنها غير قابلة للتكرار. لذلك من المفترض استخدام جميع الوسائل المتاحة لتجنّب الأخطاء التي قد تضرّ بالقضية الجنائية.

كما تشمل خطة مناهضة التعذيب تحسين التواصل بين القاضي المشرف على التحقيق ووكالات إنفاذ القانون. فلا يجوز أن يقتصر دور القاضي على تلقي نتائج استجواب الموقوفين وإصدار أوامر قضائية، بل من المفترض أن يزور القضاة المشرفون على التحقيقات الأماكن التي يوجد فيها الموقوفون للتأكد من أن أوضاعهم قانونية وتتناسب مع ظروف اتفاقية مناهضة التعذيب وتُطابق المعايير الدولية الدنيا لمعاملة السجناء.

تقرير لجنة حقوق الإنسان

في 15 حزيران الجاري، صدر التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمّنة لجنة الوقاية من التعذيب. وقد جاء في الفقرة الخامسة من التقرير «أنشطة اللجنة الوطنية للوقاية من التعذيب» أن اللجنة أعربت «عن قلقها الشديد إزاء استمرار ارتكاب جرائم التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة في العديد من أماكن حجز الحرية في لبنان، والتي من المفترض إغلاق العديد منها ونقل المحتجزين فيها إلى أماكن أقل خطورة».

كما أعلنت أنها «زارت عدة أماكن حرمان من الحرية؛ بينها 5 زيارات للسجون ومراكز الاحتجاز المدنية والعسكرية». وقد سلّمت تقريراً بخصوص هذه الزيارات إلى لجنة الأمم المتحدة الفرعية لمنع التعذيب.

هل يوفر الأطباء الشرعيون في الاستجواب درعاً أخلاقياً يمنح هالة «الاحترام» على الممارسات التي قد تنطوي على التعذيب؟

العنف الجنسي: تعذيب للحطّ من الكرامة

يُستخدم العنف الجنسي كأداة للإرهاب والتعذيب لأغراض الانتقام أو التحقيق أو فقط لغرض انتهاك الكرامة. ولكن، غالباً ما يُصرف النظر عن هذا النمط من التعذيب من قبل الضحايا أنفسهم، الذين يشعرون بالإذلال الشديد والاشمئزاز من الذات والعار والذنب وعدم القيمة. كما يصبح الكشف عن هذه المعلومات صعباً جداً، بسبب الوصم الشديد للجنس في المجتمع. وقد يكون هذا الاعتداء أصعب على الرجال الذين يواجهون المشاعر نفسها والوصمة التي تشعر بها النساء.

تستخدم هذه الأساليب لممارسة الترهيب وغرس الخوف أيضاً، كأن يقول المحقق للمشتبه فيه: «زوجتك هنا، في الغرفة المجاورة لتسمع صوتها أثناء اغتصابها»، أو أن يستدعي زوجته للمشاهدة أثناء التعدي الجنسي عليه، أو عندما يُعتدى عليه علناً أمام أفراد الأسرة أو شركاء الاحتجاز.

يمنع العار والخوف والوصم والعديد من العوائق الأخرى عدداً من الضحايا من تلقي العلاج أو حتى السعي إلى الحصول عليه، كما أن كتمان هذه الانتهاكات يساعد في انتشارها.

«الحقيقة العلمية» مكلفة

لا تتناسب المخصصات المالية التي يحددها القاضي للخبير الكلف بقضية جنائية مع النفقات والمصاريف التي يتكلفها الخبير أثناء تنفيذه المهمة. يزداد الأمر سوءاً مع تدهور العملة الوطنية وارتفاع أسعار المحروقات. تتعدد النفقات التي يتكلفها الخبير خلال التحقيق بقضية جنائية، نذكر الأساسية منها:

- الانتقال إلى قصر العدل لتبلغ المهمة.
- تصوير الملف في مكتب داخل قصر العدل (بأسعار مرتفعة مقارنة مع المكاتب الأخرى).
- تحضير الاستدعاءات للقاضي والانتقال إلى قصر العدل لإرفاقها مع الملف.
- الانتقال إلى قلم القاضي لتبلغ القرارات.
- البدء في تنفيذ المهمة والتي تشمل الانتقال إلى أماكن مختلفة على سبيل المثال: المعلومات، ومسرح الجريمة، وجلسة الخبرة مع المحامين، وغيرها.
- يشمل التحقيق معدات ومواد مكلفة بالدولار.
- تحضير التقرير وطباعته.
- الانتقال إلى قصر العدل لإضافة التقرير إلى الملف.
- الانتقال إلى قصر العدل لتسلّم الاتعاب (وفي بعض الأحيان ينتظر الخبير الجهة المستدعية شهوراً لتسلّم المبلغ بالليرة اللبنانية).

أضف إلى ذلك، عدم الأخذ في الاعتبار ما بذله الخبير من وقت وخبرة وجهد للوصول إلى الحقيقة العلمية.

تحت القوس

التعذيب يضلّل التحقيق

جنان الخطيب

«تُشنّج الصدمات الكهربائية جسده، ويصرخ من شدة الألم. يكاد يختنق بعد دفع الماء في فمه، أو يغرق بعد غمر رأسه في الماء. كل هذه الأساليب كافية لكسر الضحية، وجعل التحقيق يتقدّم، فيعترف أو يسلّم المعلومات المطلوبة». إذا كان المحقق قاسياً أو مسيئاً، فقد يحصل على معلومات، وقد تكون هذه هي المعلومات التي يريدها، لكنها ليست بالضرورة «الحقيقة».

استخدام التعذيب يجعل الأفراد أكثر عرضة للاعتراف بمعلومات غير صحيحة وغير دقيقة وغير موثوقة. فالضغوطات الجسدية والعقلية والنفسية التي تُمارس عليهم أثناء الاستجواب، تجعلهم مربكين إلى درجة قد يكونون معها غير قادرين على التمييز بين الحقيقة والخيال، ومجبرين على الكذب أو تكرار المعلومات التي سمعوها من معذّبيهم. لذلك، يُخبر ضحايا التعذيب المحققين بما يريد هؤلاء سماعه حتى يتوقف التعذيب بحقهم. ووفقاً لهذا، لا يمكن الاعتماد على الاعترافات التي تُتلى تحت التعذيب لحل القضية أو لإعادة تركيب مسرح الجريمة، بما قد تحمله من معلومات «فاسدة»، تؤكد عدم فعالية التعذيب الذي يأتي بنتائج عكسية. وبالتالي، تؤدي هذه المعلومات إلى تضليل التحقيق واتخاذ قرارات خاطئة، بما في ذلك إفلات المجرمين من العقاب وإدانة أشخاص على جرائم لم يرتكبوها ومعاقبتهم.

استمرار الحملات المناهضة للتعذيب وإنشاء آليات مراقبة للقيام بزيارات منتظمة ومفاجئة لأماكن الاحتجاز وتمكين السجناء من الاتصال بالعالم الخارجي، من خلال الزيارات العائلية والاجتماعات مع المحامين، كل ذلك يشكّل عوامل يمكن أن تلعب دوراً مساعداً مهماً في منع حدوث التعذيب، ومنع الانتهاكات، أو اكتشاف سوء المعاملة، ومنع إفلات المرتكب من العقاب. ولكن، يبقى ذلك رهن جودة التحقيقات الجنائية التي يُفترض أن تقدّم دوراً أساسياً في القضية. ففي حالة نقص قدرة المباحث العلمية على التحقيق في الجرائم، وتحت الضغط لحل الجريمة، من المرجّح أن تلجأ هيئات إنفاذ القانون إلى الاعترافات المنتزعة تحت التعذيب أو سوء المعاملة. ويمكن أن يزداد الخطر إلى قتل المشتبه فيه وفبركة الجريمة على أنها انتحار بعد انتزاع الاعترافات «المطلوبة».

في هذا السياق، قد لا تكون «النية السيئة» أو السلطوية والفوقية من الأسباب الرئيسية لممارسة التعذيب على المتهمين أو المشتبه فيهم أثناء التحقيقات. فالنقص الحاد في الموارد العلمية الموثوقة كـ (خبراء جنائيين، وأطباء شرعيين، ومتخصصين) المتاحة للمحقق أو القاضي قد يجعله يُمارس الضغط على المشتبه فيه للحصول على المعلومات التي يمكن أن تساعد في حل القضية.

في مناسبة «اليوم الدولي لمساندة ضحايا التعذيب»، يظهر الفشل، حتى الآن، في القضاء على التعذيب ودعم الضحايا. لأن مكافحة التعذيب لا يمكن أن تكون من خلال السفر وحضور مؤتمرات، ولا من خلال «غدوات» و«عشوات» في فنادق فخمة، ولا من خلال دورات تدريبية ومشاريع بمئات آلاف الدولارات، بل بالاعتماد على الدليل الجنائي الذي لا يخاف ولا يكذب ولا يشهد زوراً، ومن خلال تطوير المباحث العلمية والاستناد إلى التقنيات العلمية الدقيقة للكشف على مسرح الجريمة ورفع الأدلة وتحليلها.

كنا قد عرضنا في «القوس»، على مدار أشهر، في قسم المختبر الجنائي، تقنيات التحقيق العلمي في مختلف مجالات العلوم الجنائية لكشف خيوط الجريمة ومنع إفلات المجرمين من العقاب.

للقضاء على التعذيب.. أصلحوا «الفورنزكس».

في العمق

جريمة التعذيب وآثارها النفسية
شهادات ضحايا «الخبط واللبيط»

اساليب تعذيب عدة يمارسها المحققون على الموقوفين اعتقاداً منهم انها تساعد على انتزاع المعلومات وحل القضايا الجنائية. تُظهر بعض الابحاث ان هذه الممارسات ليست فقط غير قانونية وغير اخلاقية، بل هي ايضاً غير فعّالة وظالمة في كثير من الاحيان. فالاعترافات الكاذبة تؤدي إلى إدانات خاطئة، وبالتالي إلى إخفاقات جسيمة في المحاكمات العادلة. نعرض في هذا التقرير بعضاً من شهادات اشخاص تعرّضوا للتعذيب اثناء تحقيق الضابطة العدلية معهم في قضايا جرمية. وننقل توصيف الاختصاصيين في علم النفس لآثار التعذيب على آلاف الاشخاص الذين يخضعون للتحقيقات الجنائية في لبنان

أحمد مدلج

(www.hrw.org)

«الله يرضى عليك ما تذكرني بالماضي بس إتذكر بتكركب، أنا بعتذر، اسالني لبدك ياه بس هيدا الموضوع ما بدي افتحه»، هي ذكريات غالباً ما يحاول المرء دفنها. كف اليد المطبوع على الوجه، والكدمات، والعظام المحطّمة، والإهانات والشتائم والتحقير مع ما يرافقهم من مشاعر الإذلال. جالت «القوس» على بعض ضحايا التعذيب في أماكن الاحتجاز والنظارات وأثناء التحقيق والتفتيش عند حواجز الضابطة العدلية، للإدلاء بشهاداتهم. منهم رفض الرجوع إلى الحادثة كرامي مثلاً. ومنهم من يريد استغلال أي فرصة للتطرق إلى الجريمة التي عانوا منها لمعاقبة مرتكبيها ومحاسبتهم.

«اعترف او بيجي عطية»

«بعدو صوت المحقق علقان براسي: «عطية قشي شوي» وبلّش الضرب على بطني بالرينجر العسكري» بنبرة عالية يقول رجا لـ«القوس»، الذي أوقف بعد أحداث باب التبانة وجبل محسن عام 2015 بتهمة الانتماء إلى منظمة إرهابية وقتل أحد عناصر الجيش اللبناني (بموجب المادة 315 من قانون العقوبات). اعترف بجريمته، وفق قوله، خلال التحقيق وبعد التعذيب «بالعصا المطاطي يلي بيستخدمها عناصر مكافحة الشغب من دون توقف لحتى اتْبَحّ صوتي. وهيدي هينة لأنك متوقع الضربة بس الأصعب لما فجأة وخلال الحديث بيسقفلك كف بتحس رح تفقد الوعي لثواني». يضيف رجا: «التعذيب اللفظي كمان مش أرحم من الجسدي. يعني التهديد باعتقال اهلك وضربهم إذا قلت شي، سبّ إمك وإختك هول أوقات أسوأ من الخبيط». علماً أن التعذيب الذي تلقاه رجا يُعاقب عليه حتى ولو كان الموقوف مسؤولاً عن أفعاله الجرمية، إذ تُعدّ كل الأقوال التي يدلي بها الموقوف تحت التعذيب باطلة، ولا يمكن الاستناد إليها كدليل.

(راجع «القوس»، 8 تشرين الأول 2022، «ليس بالاعتراف وحده تتحقّق العدالة الأدلة الجنائية لا تكذب ولا تخاف»).

التعذيب لختم التحقيق

وسام، موقوف منذ أكثر من ثلاثة أشهر بجريمة ترويج المخدرات. ألقي القبض عليه بعد ضبط سيجارة حشيشة الكيف معه. «أنا لمّا توقفت ذلوني وبهدلوني، سبّوا إمي وإختي، كل واحد يفوت يضربني ويفشّ خلقه فيني. وجدوا على هاتفي رقم شخص مروّج، وهو من اقربائي، فظلوا أنني على تواصل معه من أجل ترويج المخدرات. يضيف وسام أن في كل مرة ينفي فيها التهم الموجهة إليه يُحضَر نفسه لتلقي «الخبطة». «النقيب كان عم يشرب شاي سخن فكبّ الفنجان على بطني وحرقني وقال لي: وين مخبّي المخدرات؟». فيكون جوابه دائماً: «أنا ما بروّح بس بدخّن كرمال إنسى همومي والله ما بدي فوت على السجن أنا عم بشتغل وعم إتعب. وبجي بدي كفل جملتي وباكلها كف على وجي». اعترف وسام بما أسند إليه وهو في انتظار جلسته للإدلاء أمام القاضي بحقيقة ما حصل «التوقيف بلا محاكمة هيدا عذاب إضافي، بدي اتحاكم ودافع عن حالي ما عم إقدر».

تشابه اسماء «ما تواخدونا»

«بدك تقنعني إنك من بيت زعيتر وما خصّك بالمخدرات؟» يتوجه أحد الضباط العدليين إلى صديق جاد الذي أوقف معه عند حاجز تابع لدورية ليلية. «أول ما شافوا الهويات ما طلبوا إنو ننزل من السيارة، نزّلونا بالقوة وبلشوا ضرب وشتم فينا» يقول جاد لـ«القوس» عن حادثة الإشتباه فيه وبأصدقائه بجرم الاتجار بالمخدرات كون بصادف انتماء بعض تجار المخدرات إلى عائلة صديقه. «مسحوا الأرض بكرامتنا، وكل هيدا ومش عارفين شو عم يصير، كنا فرجة للعالم» يشرح جاد كيف تعرض وأصدقائه للتعذيب أثناء انتظار سحب النشرة: «كف من هون ولبطة من هون، ضربونا لشيعوا». بعد ذلك، تم الاعتذر من جاد وأصدقائه في النظارة بعد التبيّن أن ما حصل هو مجرد تشابه أسماء. «لا المضحك إنو كل هالضرب والخبيط وبدهم يعتذروا كإنهم بحقلهم يعملوا لبدهم باه ويضربوا ويهينونا العالم ويزمطوا من المعاقبة وكل هيدا مع تشابه اسماء كيف إذا لقطوا المجرمين؟».

> ساله المحقق: بدك تقنعني إنك من بيت زعيتر وما خصّك بالمخدرات؟

التعذيب لا يطال الرجال فقط

«كف بيرجع بوكس بيرجع لبطة وشو ما بيخطر على البال» تقول سارة لـ«القوس» بعد تعرضها للتعذيب خلال التحقيق. «وقفوني بتهمة محاولة قتل. تعرضت أثناء فترة التحقيق للضرب المتواصل لإعترف بشي أنا ما عملته. والضرب كان يستمر حتى لما الدم كان يطلع من رأسي». «أنا سورية وما عندي حدا بلبنان إلا أبي الكبير بالعمر. ومنشان إعترف بالتحقيق جابوا بيي وحطوه قدامي وقالولي إذا ما بتعترفي هلق رح نضل نضرب بيك لتحكي». بعد اعتراف سارة بإنقاذ والدها، أنصفتها المحكمة بالحكم ببراءتها. لكن العدالة لم تكتمل ولن تكتمل إلا بمعاقبة مرتكبي جريمة التعذيب التي طاولت سارة «أنا هلق هربت من لبنان وعارفة ما بقدر آخذ حقي وإلا رح يؤذوني ويؤذوا بيي». أما نادياً، فتشرح لـ«القوس» عن التعذيب الذي تعرضت له على مرحلتين، الأولى بـ«اللبيط» الذي أدى إلى كسر في ضلعها. والثانية بالتهديد للتعرّض لها ولعائلتها إذا قامت بتبليغ أي أحد عن الحادثة «متّهميني بترويج المخدرات ولو كنت عارفة إنو رح يكسروا ضلعي ويهددوا عيلتي كنت اعترفت من الأول وبلا ما كنت إمرق بهالعذاب كلو». تشير نادياً إلى أنها ليست مدعومة من أحد، وهي غير قادرة على أخذ حقها من داخل السجن، «كل يوم بمر عليّ وأنا في بالسجن بزداد حقدي وكرهي للمجتمع والبلد وكل الفاسدين فيه».

> التعذيب حلقة لا تنتهي من العنف

«يختلف رد فعل الأشخاص على التعذيب، ويعود ذلك إلى قدرة الشخص الذي تعرض للتعذيب على التعافي بحسب تركيبته النفسية الداخلية»، تقول الاختصاصية في علم النفس العيادي والعلاقات الأسرية نجوى دعجة لـ«القوس». مشيرة إلى أن هناك ضحايا تعذيب يعانون من حالة ما بعد الصدمة، لأن حياتهم قد تعرضت للخطر. كما أن هناك بعض الحالات من «التدمير الداخلي، حيث يعاني من استرجاع Flashback، وكوابيس، مما يؤدي إلى ردود فعل قد تكون عنيفة. ويصبح دائماً في انتظار حصول مكروه ما، وفي حالة قلق دائمة». وتضيف: «من الممكن أن يؤدي التعذيب إلى اضطراب القلق العام anxiety، ونوبات هلع panic attacks، والمعاناة من فقدان الأمل والتوتر الدائم. والإحساس بالضعف vulnerable، والاكتئاب والحزن الدائم والشعور بالذنب، كذلك فقدان الشهية».

على المستوى الاجتماعي، تلفت دعجة إلى أنه «من الممكن لبعض الأشخاص أن يفقدوا الثقة بالآخر ويصبحوا أكثر ميلاً للانعزال، نتيجة الخوف من إنشاء علاقات مع الآخرين أو العار. وعدم قدرتهم على الانتماء لأي مجموعة. كما يصبح الشخص الذي تعرض للتعذيب شخصاً من السهل إثارة غضبه، كما يمكن أن يعاني أعراضاً ذهنية، كتفكك بالشخصية، وفقدان في الذاكرة، واضطراب في النوم. وقد يذهب بعضهم نحو الإدمان على المخدرات أو الكحول كأسلوب سلبي للتأقلم Negative Coping Strategy. وفي حالات قصوى قد يُقدم بعض ضحايا التعذيب على الانتحار». تؤكد أستاذة العلوم النفسية الاجتماعية في الجامعة اللبنانية أديبة حمدان أن التعذيب يعزّز حالة النقمة لدى الضحية، الأمر الذي ينعكس على محيطه أو على ذاته (إيذاء نفسه)، كما لا تستبعد فكرة الانتقام من الآخرين. «التعذيب قد يدفعه لارتكاب جريمة عند الخروج من أماكن الاحتجاز. وهذه النية الجرمية قد تكون نتيجة نقمه على المجتمع. وهنا تكمن خطورة تعذيب الفرد على المجتمع. وقد يكون الانتقام عفوياً أو منظماً». تضيف حمدان: «يفترض أن السجن هو مركز لإعادة إصلاح السجين وليس مكاناً لتعذيبه ولشد عزمه على ارتكاب جريمة جديدة عند الخروج من السجن».

ووفقاً للاختصاصية في علم النفس والخبيرة النفسية المحلّفة لدى المحاكم كريستل بسترس فإن «الضحية التي تعرضت للتعذيب الجسدي أو النفسي (عبر الترهيب والإهانات والشتائم) تتأثر نفسياً. هذا التأثير النفسي لا ينتج عنه اضطرابات نفسية فقط، بل في أغلب الأحيان يظهر بسلوكيات وعوارض عدة كالغضب والقلق والإحباط والشعور بالدونية وفقدان قيمة الذات وتزايد أفكار الانتقام». أما بالنسبة إلى عائلة الموقوف الذي تعرض للتعذيب، تشير بسترس إلى أن «في أغلب الأحيان يكون لدى عائلة الضحية قلق وخوف من تقديم شكوى حتى لا يتعرض لتعذيب إضافي». وتشدد على ضرورة التدخّل النفسي لأولاد الضحية الذين يتأثرون بما يسمعون عن تعذيب آبائهم ويدخلون في دائرة الخوف والقلق والإحباط لمساعدتهم على تخطّي الصدمة.

في القانون

الوقاية من التعذيب: ماذا يقول القانون؟

إعداد **صادق علوية**

أين تُقدّم الشكوى بشأن التعذيب؟

المادة 24 - مكرر، اصول المحاكمات الجزائية
يمكن تقديم شكوى أو إخبار في شأن جرائم التعذيب إلى النيابة العامة التي يتوجب عليها، ضمن مهلة 48 ساعة، أن تقرر إما حفظ الشكوى أو الادعاء أمام قاضي التحقيق من دون إجراء أي استقصاء أو تحقيق أولي في هذا الصدد إلا من قِبلها شخصياً، باستثناء القرارات الضرورية للمحافظة على الأدلة وضبطها وتكليف طبيب شرعي للكشف على ضحية التعذيب المفترضة إذا لم تكن مرفقات الشكوى أو الإخبار تضم تقريراً طبياً.

المادة 24 - مكرر، اصول المحاكمات الجزائية
أو أمام قاضي التحقيق الناظر بالدعوى: يمكن تقديم الشكوى إلى قاضي التحقيق الناظر في الدعوى، إذ يتوجب عليه في هذه الحالة أن يتولى بنفسه القيام بجميع إجراءات التحقيق في شأن أفعال التعذيب دون استنابة الضابطة العدلية أو أي جهاز أمني آخر للقيام بأي إجراء باستثناء المهمات الفنية.

المادة 17، القانون رقم 2016/62
أو أمام «الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب» التي يحق لها أن تتلقى الإخبارات والشكاوى المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان في لبنان من أي شخص طبيعي أو معنوي، لبنانياً كان أو غير لبناني، ولها أن تتقصى الوقائع والأدلة المتعلقة بها، وتساهم في معالجتها.

ماهي عقوبة مرتكب جريمة التعذيب في القانون اللبناني؟

المادة 401، قانون العقوبات
الحبس من سنة إلى ثلاث سنوات: إذا لم يفض هذا التعذيب إلى الموت أو إلى خلل أو عطل جسدي أو عقلي دائم أو مؤقت.
الاعتقال من خمس سنوات إلى عشر سنوات: إذا أفضى التعذيب إلى خلل أو عطل جسدي أو عقلي دائم.
الاعتقال من ثلاث سنوات إلى سبع سنوات: إذا أفضى التعذيب إلى خلل أو إيذاء أو عطل جسدي أو عقلي مؤقت.
الاعتقال من عشر سنوات إلى عشرين سنة: إذا أفضى التعذيب إلى الموت.

ما هي التشريعات الدولية والمحلية للوقاية من التعذيب؟

1984
اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية «مناهضة التعذيب وضروب المعاملة أو العقوبة اللا إنسانية أو المهينة» في 10 كانون الأول 1984

2000
صدور قانون «الإجازة للحكومة الانضمام إلى اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة»، الرقم 185 تاريخ: 2000/5/24

2002
اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة البروتوكول الاختياري لاتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة، بتاريخ 18 كانون الأول 2002

2008
صدور قانون الإجازة للحكومة الانضمام إلى البروتوكول الاختياري لاتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 2002/12/18، الرقم 12 تاريخ: 2008/09/05

2016
صدور قانون «إنشاء الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب»، الرقم 62 تاريخ: 2016/10/27

2017
صدور قانون «معاقبة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة»، الرقم 65 تاريخ: 2017/10/20

2018
تشكيل الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب، وتسمية أعضائها، المرسوم رقم 3267 تاريخ: 2018/06/19

2019
تشكيل اللجنة الوطنية للوقاية من التعذيب، المرسوم رقم 5147 تاريخ: 2019/07/05

2020
صدور قانون «تعزيز الضمانات الأساسية وتفعيل حقوق الدفاع»، الرقم 191 تاريخ: 2020/10/16

متابعة

أكثر من 100 ألف طفل في سوق العمل
مكاسب استغلال الأطفال تتفوق على القانون

يصادف كل منا عشرات الأطفال يومياً يعملون في مختلف القطاعات تحت مطرقة الوضع الاقتصادي الصعب. يُعدّ الأطفال بالنسبة إلى أصحاب العمل من الأصول المربحة، نظراً إلى قدرتهم على بذل مجهود كبير مقابل راتب منخفض، كما انهم اقل اعتراضاً على ظروف العمل او الإضراب، ومن السهل التلاعب بهم واستغلال حاجتهم إلى العمل، حتى يومنا هذا، لم نشهد تطبيقاً فعلياً للقوانين والاتفاقيات الدولية التي تحمي حقوق الاطفال وتقنّن ظاهرة عمالتهم، إذ يتطلّب ذلك نهجاً متعدّد التخصصات لتطوير تلك القوانين، ووضع انظمة شاملة لتاهيل الاطفال العاملين وأسرهم

فاطمة خشاب درويش

برزت مؤشرات مهمة على مدى السنوات الأخيرة، وفق متخصصين في مجال مكافحة عمل الأطفال، تؤكد أن أعداد الأطفال العاملين في لبنان ازدادت مع تردي الأوضاع الاقتصادية وتدني رواتب الموظفين في القطاع العام وانعدام القيمة الشرائية لها. إذ يبلغ عدد الموظفين في القطاع العام حوالي 300 ألف موظف، وفي عملية حسابية سريعة، إذا كان للموظف ولدان في سن الدراسة، فإنه سيكون أمام خيارين: إما تفضيل التعليم الرسمي على الخاص، أو الاكتفاء بتعليمهم إلى ما لا يتجاوز المرحلة المتوسطة، الأمر الذي يجعل الأولاد ينخرطون في مجالات العمل في سن مبكرة لمساعدة أهاليهم مادياً. أمام هذه المعادلة، نتحدث عن نحو 600 ألف طفل قد يكونون معرّضين للتسرب المدرسي، وبالتالي الانضمام إلى لائحة الأطفال العاملين.

بعيداً عن الأرقام والإحصاءات، بات عمل الأطفال أمراً واقعاً أكثر من أي وقت مضى، فالطفل يغري صاحب العمل الذي لا يهمّه كثيراً إذا كانت الوظيفة تناسب نمو الطفل البدني والعقلي ولا حتى مستويات المهارات لديه. ما يهمّ هو أن يأمكن الطفل العمل لساعات طويلة مقابل مبلغ مالي زهيد.

تتعدّد القطاعات التي يعمل فيها الأطفال في لبنان من تصليح السيارات والميكانيك وأعمال الحديد والألومنيوم وأعمال البناء والطلاء والتمديدات الصحية، في مواقع صناعية تفتقر إلى البنية التحتية الملائمة. وربما تكون أماكن العمل هذه غير مسجلة قانوناً ولا تخضع لإطار قانوني، ولا يصل إليها التفتيش المعطل حالياً. كما قد تفتقر إلى الوعي بأهمية الوقاية والسلامة الصحية التي هي من شروط العمل الأساسية، حيث يستخدم الأطفال آلات وأدوات غير آمنة أو مواد ضارة أو خطرة في كثير من الأعمال.

ليست هناك أرقام محددة عن أعداد الأطفال العاملين في لبنان الذين أشكال العمالة التي تتمثّل في استخدامهم في «الأعمال الخطرة والعمل القسري والإتجار والاستغلال الجنسي والأنشطة غير المشروعة» (راجع «الأخبار»، 12 حزيران 2023، «عمالة الأطفال اللبنانيين إلى ارتفاع و90% من الدعم الدولي للسوريين»).

بين التشريعات الدولية واللبنانية

«تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يرجح أن يكون خطيراً أو يمثل إعاقة لتعليم الطفل، أو أن يكون ضاراً بصحة الطفل أو بنموه البدني، أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي» كما نصّت المادة 32 من اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1989، وصادق لبنان عليها عام 1991. وقد عملت الحكومات اللبنانية المتعاقبة منذ ذلك الحين على إرسال تقارير إلى اللجنة الدولية لحقوق الطفل تأكيداً على الالتزام بها.

> دعم منظمة العمل الدولية كان له دور مهم في الحد من مكافحة عمل الأطفال في لبنان

تتخذ الحكومة اللبنانية تدابير لمكافحة عمل الأطفال وخاصة أسوأ أشكال عمل الأطفال، ومنها:

- إعداد سياسة وطنية وبرنامج لإطار عمل يُعرف بـ«الاستراتيجية الوطنية لمكافحة عمل الأطفال» عام 2004.

- إنشاء «وحدة مكافحة عمل الأطفال» في وزارة العمل واللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال عام 2001. علماً أن التدبير الأخير قد عُزّز من خلال إصدار مرسوم آخر عام 2005، وعُدّل لاحقاً بالمرسوم رقم 5137 تاريخ 2010 بحيث جعل مجلس الوزراء من هذه اللجنة لجنة عليا، إضافة إلى إطلاق قاعدة بيانات خاصة بعمل الأطفال في وزارة العمل.

- اعتماد المرسوم رقم 8987/ 2012 الذي يحظر «استخدام الأحداث قبل بلوغهم سن الثامنة عشرة صحتهم أو سلامتهم أو سلوكهم الأخلاقي»، ويحدّد أسوأ أشكال عمل الأطفال في لبنان. وفي العام التالي، أعدّت الحكومة اللبنانية بالتعاون مع منظمة العمل الدولية خطة العمل الوطنية للقضاء على أسوأ أشكال عمل الأطفال. أطلقت الخطة من القصر الجمهوري وأصبحت وثيقة رسمية معتمدة من جميع الأطراف والجهات المعنية لتبنى على أساسها البرامج والمشاريع للقضاء على عمل الأطفال.

لا مكافحة من دون تمويل

«منظمة العمل الدولية لم تعد تموّل وتدعم مشاريع وزارة العمل منذ سنوات، وقد حوّلت دعمها إلى الجمعيات ولا سيّما تلك التي تعنى بالنازحين السوريين. كيف يمكن العمل للحد من عمل الأطفال من دون تمويل؟» تسأل رئيسة وحدة مكافحة عمل الأطفال في وزارة العمل نزهة شليطة في حديث مع «القوس»، مشيرة إلى أن أعداد الأطفال العاملين في ازدياد نتيجة للأزمات المتتالية التي يمر بها لبنان، والتي أوقفت الجهود والتعاون مع منظمة العمل الدولية للحد من ظاهرة عمل الأطفال. وتؤكد شليطة أنه «لا يوجد إمكانية للقيام بأي برنامج في ظل الوضع الحالي، وخاصة مع توقف الدعم الدولي للبرامج، حتى إن المراقبة والتفتيش متوقفان بسبب وضع الإدارات العامة، فحال وزارة العمل كحال جميع وزارات الدولة التي تستمر بقوة وإرادة العاملين فيها وليس بفعل الإيرادات المالية المتوفرة أو حتى الإمكانات المتاحة».

وتلفت إلى أن «دعم منظمة العمل الدولية كان له دور مهم في الحد من مكافحة عمل الأطفال في لبنان»، إذ أسفر دعم المنظمة عن دراسة مهمة أجرتها الوزارة والجامعة الأميركية في بيروت، وُضعت بموجبها قائمة الأعمال الخطرة التي اعتُمدت رسمياً من قبل مجلس الوزراء اللبناني بتاريخ 29 أيلول 2012 في المرسوم رقم 8987، الذي يتضمن قائمة القطاعات الخطرة على الأطفال، من بينها: عمل ميكانيك السيارات، والنجارة واللحام، وتلييّن أسطوانات الغاز وغيرها. كما أوردت القائمة عمل الأطفال في الشوارع على رأس لائحة الأعمال الأكثر خطورة.

اين المشكلة؟

«لا توجد مشكلة تشريعات للحد من ظاهرة عمل الأطفال في لبنان، فالتشريعات الموجودة حديثة وأُقرّت وفق المعايير الدولية، المشكلة تكمن في تطبيقها» تقول مفوّضة الحكومة في مجلس العمل التحكيمي ريتا بجاني، مشيرةً إلى أن «تطبيق القانون هو مسؤولية جميع الجهات والأجهزة، ويحتاج إلى تنسيق وسياسات وتعاون، كما على الوزارات المعنية القيام بدورها للحد من هذه الظاهرة».

وتلفت بجاني إلى أن «منع عمل الأطفال لا يحل المشكلة، علينا أن نعمل على تأمين البديل للطفل المضطر وللأسرة التي تعاني من الفقر»، وتسأل: هل هناك قدرة على متابعة كل الأسر التي تعاني من الفقر، وهل هناك قدرة على تأهيل وتدريب كل الأطفال العاملين؟

تؤكد الأمينة العامة للمجلس الأعلى للطفولة في وزارة الشؤون الاجتماعية ريتا كرم أن نسبة أعداد الأطفال العاملين في لبنان في ازدياد، مشيرة إلى أن «وزارة الشؤون الاجتماعية تعمل على خطين متوازيين للحد من ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع، الأول من خلال تنظيم دورات مهنية للأطفال من أجل إكسابهم مهارات، والثاني بالعمل مع الأهل حتى يتمكنوا مادياً ولا يضطرّوا إلى دفع أولادهم لترك المدرسة وذلك بالتعاون مع عدد من

> ما يقارب 600 الف طفل قد يكونون معرضين للتسرب المدرسي والانضمام إلى لائحة الأطفال العاملين في لبنان

الجمعيات». ووفقاً لكرم، تتدخل الوزارة في حال كان هناك تعنيف أو استغلال جنسي للأطفال، سواء من قبل الأهل أو أصحاب العمل، وذلك من خلال شبكتي الحماية الموجودتين لديها القضائية أو الاجتماعية. وتضيف: «المشكلة ليست في البرامج والخدمات والمراكز، المشكلة في وجود تمويل كاف لإنجاز كل ذلك، فقد عملت الوزارة أخيراً بالتعاون مع الرابطة المارونية على إقامة دورة تدريبية لـ 15 طالباً وطالبة من المدارس الخاصة بهدف توعيتهم حول الطرق الآمنة للعمل الإلكتروني»، إذ إن عمل الأطفال عبر الإنترنت، وفق كرم، هو من أخطر أنواع العمل في القطاعات المختلفة، لأن البيع عبر العالم الافتراضي يسمح للأطفال بتحصيل المال بجهد أقل، الأمر الذي قد يدفعهم إلى ترك المدرسة وبالتالي سيزداد أعداد المتسربين.

مراكز التاهيل تقفل ابوابها

«من سنة الـ 2000 كنّا عم نشتغل على قضية مكافحة عمل الأطفال، كنّا وقتها بالنعيم مش متل هلق، كان العدد 1800 طفل عامل بكل أنواع الأعمال، سواء المسموح بها أو بأسوأ أشكالها، أمّا اليوم فبتجاوز عدد الأطفال العاملين الـ 100 ألف طفل» تختصر المديرة التنفيذية لجمعية Beyond ماريا خياط عاصي مشهد ظاهرة عمل الأطفال في لبنان ما بين العامين 2000 و2023، مشيرةً إلى أن الجمعية «كغيرها من المراكز والجمعيات التي تعنى بمكافحة عمل الأطفال تاثرت بانهيار الوضع الاقتصادي، وخاصة في السنوات الأخيرة، اقفلنا عدداً من الفروع رغم تصنيفنا من قبل منظمة العمل الدولية كنموذج رائد للعمل في منطقة الشرق الأوسط، ولدينا في مركزنا الوحيد حالياً في زحلة 250 طفلاً، وهناك أعداد كبيرة على لائحة الانتظار، عم ناخد فقط طفل واحد من كل عيلة لقلة الأماكن المتاحة.. ليش مش مسموح تستمر هيدي الجمعيات اللبنانية؟». تلفت عاصي إلى أن عمل الجمعية يكون تحت إشراف وتدريب وزارة العمل، كما تعمل مع اللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال، وتضيف: «هناك تعاون وتنسيق مع وزارة العدل التي تحوّل حالات الأطفال الذين يحتاجون إلى تدريب وتاهيل، بدورنا نحوّل إلى وزارة الصحة ووزارة التربية وفق احتياجات الطفل الصحية والتعليمية»، كما تؤكد ضرورة العمل مع الأهل بهدف توفير فرص عمل لهم وتاهيلهم من أجل مساعدتهم على احتضان أولادهم.

عودة بعد اربع سنوات

أحمد (12 عاماً)، اختار مرغماً أن يترك مدرسته وهو في الصف الأول الابتدائي، لمساعدة والده (من ذوي الاحتياجات الخاصة) ولو بجزء يسير من المال يحضله أسبوعياً من صاحب محل الخضر المجاور لبيته، كان يعمل تحت أشعة الشمس من الساعة الثامنة والنصف صباحاً حتى السابعة مساءً من دون كلل. يستقبل المارة بابتسامته، ويسارع إلى القول: «شو بدي ساعدك؟».

لم يكن هذا المشهد مقبولاً أبداً، لم تكن مهمة إقناع أهله بعودته إلى المدرسة صعبة، فقد رحّبوا بذلك لكن العائق كان انقطاع أحمد عن التعليم لأربع سنوات (الانقطاع قانوناً مدته سنتان). وبطلب استثنائي تقدمتْ به إلى وزير التربية والتعليم العالي عباس الحلبي، وبمتابعة من قسم الإرشاد والتوجيه في وزارة التربية، صدر قرار قبول عودة أحمد إلى التعليم، وأصبح بإمكانه الدخول إلى المدارس الرسمية أو الخاصة، شرط أن يلتحق بالصف الذي توقف عنده.

وفّرت وزارة التربية كل التسهيلات الإدارية لعودة أحمد، وقدمت مديرة إحدى المدارس الخاصة، فرصة له للانخراط في صفوفها التعليمية مع تامين كل مستلزمات الدراسة من كتب ودفاتر وزيّ مدرسي، كما تامين خدمة النقل المدرسي.

في هذا الشهر، أنهى أحمد عامه الدراسي الأول بعد انقطاع دام أربع سنوات، أصبح يعرف القراءة والكتابة، وبات يتقن حساب الأرقام والأعداد. لم تكن سنة عادية بالنسبة إليه.. كانت سنة العودة إلى حيث يجب أن يكون، إلى مقاعد الدراسة.

أطفال كثر مثل أحمد، هم بحاجة إلى من يحمي حقهم في التعليم، وإلى مدّ يد العون لمساعدتهم كي لا يغرقوا في وحول عمل الأطفال.

(هيلم العموسي)

(الارشيف ـ مروان طحطح)

بيرم: لتفعيل اللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال

أُنشئت اللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال بموجب المرسوم 2005/15959، وتحدّدت مهامها كالآتي:

«تتولى اللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال مهمة إعداد ومتابعة وتنفيذ الاستراتيجيات والخطط والبرامج الهادفة إلى مكافحة عمل الأطفال بالتنسيق مع منظمة العمل الدولية والبرنامج الدولي للقضاء على عمل الأطفال «أيبك - IPEC»، المعني بمكافحة عمل الأطفال ومع سائر المنظمات الدولية والعربية المختصة والهيئات واللجان الأهلية الوطنية». (المادة الأولى من القرار رقم 2012/159).

«الانهيار الاقتصادي زاد من نسبة الفقر والبطالة في لبنان، وأرغم عائلات على القبول بعمل أولادها من أجل تأمين احتياجاتها الأساسية، في الوقت الذي توجد فيه عصابات تستغل الأطفال وتجبرهم على العمل تحقيقاً لمصالحها ومنافعها المادية». يتحدث وزير العمل مصطفى بيرم لـ«القوس» عن الواقع الذي أدى إلى ازدياد نسبة عمل الأطفال، مشيراً إلى أن «وزارة العمل تعمل في مسارات متعددة ومتتالية، هناك توجه جدّي لتفعيل عمل اللجنة الوطنية لمكافحة عمل الأطفال بعد توقفها القسري بسبب الأزمات المتعددة التي ضربت لبنان».

ويؤكد بيرم «أهمية هذه القضية التي تحتاج إلى تكاتف جهود وإلى مستوى عالٍ وواسع من التنسيق مع الأطراف المعنية، وكخطوات عملية أرسلت وزارة العمل كتباً إلى الجهات والوزارات المعنية من أجل تسمية المندوبين والمرشحين الذين سيكونوا أعضاءً في اللجنة»، لافتاً إلى أن «الوزارة ستبدأ بمراحل منع الأعمال الخطرة أو الضارة نفسياً وجسدياً للأطفال تمهيداً لرفع مستوى التوعية والمتابعة لهذا الملف بطريقة علمية واحترافية ضمن خريطة طريق توصلنا إلى ما هو مطلوب».

عمل الأطفال في قانون العمل

المحامية ردينه شهاب

راعى قانون العمل اللبناني الصادر في العام 1946 سنّاً معيّناً للعامل لمن أتمّ 18 سنة، ومن ثم جاءت تعديلات لاحقة عدّلت وبصورة مطلقة استخدام الأحداث قبل إكمالهم سنّ 13 عاماً كحدّ أدنى للعمل، شرط خضوعه لفحص طبي يبيّن قدرته على القيام بالعمل المستخدم لأدائه. وهي، وفق فحوى القانون، الأعمال البسيطة التي لا تؤثر على صحته النفسية أو الجسدية أو الأخلاقية أو تحدّ من تعلّمه، ما معناه أن السنّ الأدنى للعمل هو 13 سنة. في المؤسسات المعدة لتعليم الحرف، يجوز أن يبدأ العمل من سن 12 عاماً ضمن شروط مصادق عليها من وزارة العمل ودوائر الصحة معاً.

كما يحظر قانون العمل استخدام الحدث قبل 15 أو 16 سنة في الأعمال الصناعية والأعمال المرهقة والمضرّة بصحته، ويحظر استخدام الأحداث الذين يقلّ عمرهم عن الـ 18 سنة أكثر من 6 ساعات، تتخللها ساعة للراحة على الأقل، كما يحظر تشغيله بعمل إضافي أو خلال فترات الراحة أو خلال الأعياد والمناسبات، ويحظر تشغيل الحدث في الفترة الممتدة بين السابعة ليلاً والسابعة صباحاً، وله إجازة سنوية مدتها 21 يوماً بأجر كامل. إن التثبت من سنّ الأولاد يحصل على مسؤولية أرباب العمل مهما كانت الفئة التي ينتمون إليها، فعليهم أن يطلبوا من الطفل بطاقة الهوية قبل استخدامه.

وقد أورد القانون في الجداول الملحقة به حظر استخدام الأولاد والأحداث والنساء، في الصناعات والأشغال المضرة والخطرة، على سبيل المثال: المناجم، والأفران، والمتفجرات، والزجاج، والكحول، والرصاص، والتلحيم، والإسفلت، والدباغة، وطبخ الدم والعظام والشحم والصابون والأسمدة، والغراء، والنحاس، وغيرها.. كلها أعمال تؤثر على الصحة الجسدية ونمو الطفل الجسدي والعقلي والنفسي.

تدمير الإنسان

الآثار الجسدية والنفسية للتعذيب

إعداد جنان الخطيب

1 الصدمة النفسية والعاطفية
صعوبة التركيز، الكوابيس، الأرق، القلق والاكتئاب واضطراب ما بعد الصدمة والتشجيع على الانتحار

2 العنف والظهر
شلل مؤقت أو دائم، متلازمات الألم، وإصابات النخاع الشوكي

3 الصدر
كسور في الضلع، ثقوب وكدمات في الرئة، وإصابات القلب

4 إصابات الرأس
النزيف والكدمات وتشوهات الوجه وكسور الوجه وإصابات العين (فقدان الرؤية أو حركة العين) وشلل الوجه وتشوهات الأذن وفقدان السمع وإصابات الدماغ الرضحية من كسور الجمجمة أو النزف الداخلي والأورام الدموية الدماغية

5 الأطراف
كدمات والم في الجلد، إصابات في العضلات، المفاصل و/أو العظام (يمكن أن تؤدي إلى إعاقات دائمة)، إصابات الأعصاب، إصابات الأوعية الدموية والنزف

6 البطن
إصابات الأعضاء الصلبة: الحجاب الحاجز والطحال والكلى والبنكرياس والكبد – نزف داخلي أو خارجي او تمزق او فشل في الأعضاء – إصابات الأعضاء المجوفة: كدمات وتمزقات في الأمعاء

7 الفخذ/الأعضاء التناسلية
الم شديد، كدمات، نزف، فقدان الوظيفة الجنسية او القدرة على الإنجاب

على مستوى من الصدمات، تتراوح الإصابات من خطيرة الى طويلة الامد وقد تشمل فقدان الوعي او الوفاة

درجة الصدمة بين المتوسطة والخطيرة، تكون الإصابة طويلة الامد في اغلب الاحيان، وموقتة في احيان اخرى

طرق التعذيب المعتمدة

الاعتداء الجسدي

بما في ذلك الضرب، والوقوف القسري المطوّل، والشنق، والخنق، والحرق، والصدمة الكهربائية والاعتداء الجنسي والاغتصاب والتعرض للحرارة الشديدة أو البرودة

التعذيب النفسي

بما في ذلك الإساءة اللفظية، والتهديد بالعائلة والأصدقاء والأحباء، الاختيارات القسرية والإعدامات الوهمية والإكراه على مشاهدة التعذيب والتشويه وقتل الآخرين والاغتصاب

التحفيز الحسّي المفرط

بما في ذلك التعرض للضوضاء المستمرة والأضواء القوية والإكراه على تناول المخدرات

الحرمان من الظروف الإنسانية

بما في ذلك الحرمان من الطعام والماء، والاحتجاز في عزلة، تقييد الحركة، وتعصيب العينين، والحرمان من النوم، وحجب الرعاية الطبية

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com